فبشر عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولوا الالباب

المنار

١٣١٥

يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا وما يذكر الا اولو الالباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق

{ مصر الاحد ٣٠ ربيع الاول ١٣٢٨ – ١٠ ابريل (نيسان) ١٢٨٦ه ١٩١٠م }

فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متاخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا . ولمن مضى على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

{ العمل بخبر التلفون والتلغراف في الصوم والفطر }

(س ٢١) من السيد محمد بن الخوجه رئيس قلم المحاسبة بالوزارة في (تونس)

سيدي الاخ الكريم والعلامة الجليل

حدث عندنا تناقض بسبب هلال الفطر (في رمضان الماضي) فان بعض البلاد التونسية افطروا يوم الخميس الموافق لرابع عشر اكتوبر وحيث تأخر ورود صك الرؤية على

قاضي الحاضرة الى ما بعد عصر الخميس فان الاعلان بالفطر لاهالي مدينة تونس لم يقع الا مع غروب الشمس بحيث أنهم صاموا يوم العيد كله لان القواعد الشرعية التي عليها عمل فقهاء تونس لم تجوز للمسلمين بهذه البلاد ان يعتمدوا ما يبلغهم من مشاهدة هلالي الصوم والفطر على طريق التلغراف او التلفون لان التلغراف بيد غير المسلمين والتلفون يرد عليه «ان الصوت يشبه الصوت» كما ان «الخط يشبه الخط» ومن اجل هذا اطلبنا لعلمائنا ان يلتمسوا لنا من وجوه الفقه مايساعد على العمل بالتلغراف لا سيما وان الريبة في التبليغ تنتفي اذا جعلنا الاشعار بالرؤية في اطراف المملكة لاتكون الا بالطريقة الرسمية اي بواسطة تلغراف يرد من الحكومة المحلية اي الجهة التي شوهد فيها الهلال الى مركز الحكومة بتونس وان يكون المخاطب بالتلغراف مأموراً مسلماً كما ان المخاطب به من المسلمين

وعسى ان فضيلتكم تتوفق للتأمل في هذه المسألة العويصة وتنشر لقراء المنار مايعينهم على الاهتداء لحل عقالها سواء كان ذلك بتونس او بالبلاد الاخرى

(ج) اوسل هذا السؤال الى مصر ومنها الينا في القسطنطينية والخطب عندنا في المسألة سهل لولا ان اكثر المسلمين صاروا لا يحبون السهولة واليسر في الدين وهو من اصول الاسلام بنص الكتاب والسنة فالعمدة في الشرع على ما يحصل به التصديق والاطمئنان من الاخبار او العلامات التي تدل على ثبوت اول الشهر وكل من التلغراف والتلفون طريق من طرق التصديق والاطمئنان وقد بينا ذلك في المنار غير مرة وقد اطلعنا في هذه الايام على فتوى في المسألة لشيخ الازهر وهو اكبر علماء المالكية واشهرهم بمصر واكثر أهل تونس من المالكية فنحن نورد لهم الفتوى بنصها وهي:

« صاحب الفضيلة مولانا الاكبر شيخ الجامع الازهر حفظه الله

« اتشرف بان أقدم لكم دام النفع بعلمكم فيما يسأل عنه أهل السودان المالكيون وهو انه قد جرت العادة عندهم في هذه السنين ان يرسل اليهم بواسطة التلغراف من الديوان الخديوي باسم بعض رؤسائه انه قد ثبت شرعا ان اول رمضان يوم كذا وربما لم ير أحد منهم الهلال مع الصحو فمنهم من يعتمد على التلغراف و يصبح صائما ومنهم من يزعم ان الصوم منوط برؤية الهلال فيصبح مفطرا واذا مضى بعد

وصول الخبر اليهم ثلاثون يوما وربما لايرى احد منهم هلال شوال ليلة احدى وثلاثين مع الصحو ولا يأتيهم فيها خبر بالتلغراف عما ثبت شرعا بمصر وايضا وربما كان حكم الحاكم المخالف بثبوت الصوم مبنيا على شهادة عدل واحد أو كان حكمه بالصوم مبنيا على روءية عدلين واذا لم ير هلال شوال ليلة احدى وثلاثين مع الصحو لايرى تكذيبهما بل يرى تكميل العدد ثلاثين بعد روءيتهما هلال رمضان وكذلك حكمه بثبوت الصوم بناء على تمام شعبان الذي ثبت أوله بروءية عدلين ولم ير غيرهما هلال رمضان ليلة احدى وثلاثين من منذ (؟) روءيتهما هلال شعبان وكل ذلك مخالف للمذهب المالكي فاذا يصنع أهل السودان في صومهم وافطارهم حتى يكون عملهم موافقا للشرع والحال كما ذكر في السودان افيدونا مأجورين

كاتبه الفقير اليه

ابو القاسم احمد هاشم

(بسم الله الرحمن الرحيم)

« الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين قد نص فقهاؤنا على ان يكون الصوم عند الحاكم وان لم يحكم بالفعل وحكمه بالثبوت كل منهما يوجب الصوم على كل من نقل اليه سواء نقل بعدلين أو جماعة مستفيضة ولو كان الناقل عدلا واحدا لان هذا من الخبر الصادق لا الشهادة ولو كان المنقول اليهم ممن يعتنون بأمر الهلال

« ونصوا ايضا على الا كتفاء في الثبوت بالامارات التي جرت العادة بها في اشهاد الثبوت كتعليق القناديل الموقدة على المنائر حيث جرت العادة انها لا توقد الا بعد الثبوت الشرعي وكضرب المدافع كما هي العادة عندنا بمصر ومن هذا القبيل ارسال الخبر في السلك التلغرافي بل هو في زماننا أدل وأقوى وعليه اعتمدت الملوك والحكام في تبليغ احكامهم ومخاطباتهم واقى العلماء بكفايته في ذلك وهو في ايامنا هذه لا يرسل الا باذن الحاكم الشرعي باشهار حكمه في جميع الجهات فهو كرسول ارسله لتبليغ حكمه فيجب الصوم على كل من بلغه من أول رمضان كما يجب الفطر على من بلغه به ثبوت روءية هلال شوال ومن خالف بعد بلوغه بصوم وافطار فهو مخالف للحق

والصواب الذي اقتى به العلماء. ولا عبرة باختلاف المطالع على ماهو المذهب إلا أن يبعد جدا كخراسان من الاندلس فان كل قوم يعملون بما عندهم لايجري عليهم حكم الآخرين كما حكى ابن عبد البر الاتفاق عليه . واحتمال ان الحاكم المخالف بنى الحكم على رؤية شاهد واحد في الغيم نادر جدا . وعلى فرض من حصوله وتحقيقه ففي المذهب قولان في لزوم الصوم وعدم لزومه يجوز العمل بكل منهما أو تقليد مذهب الحاكم والعمل عليه

« وأما البناء على تمام العدد من ابتداء رؤية العدلين ولولم ير الهلال ليلة احدى وثلاثين مع الصحو لكون المخالف لايرى التكذيب فان كان قد حكم بالفطر لزم الافطار وان كان لم يحكم الا بثبوت الصوم برؤية العدلين فليس ذلك حكما بالافطار الا ان يحكم حين الرؤية بموجب لزوم الصوم فيجب العمل به في الافطار وايضا كما يجب العمل بكمال العدد ان كانت ليلة احدى وثلاثين مغيمة . ومثل ذلك حكم بالصوم بكمال شعبان الذي ثبت أوله برؤية عدلين ولم ير غيرهما هلال رمضان ليلة احدى وثلاثين مع الصحو لكونه لايرى التكذيب فيجب به الصوم قطعا أو كان قد حكم بموجب ثبوت أول شعبان حين حكمه بثبوته فانه يتضمن الحكم باعتبار تمام العدد من ابتداء الرؤية

« وأما مسألة عدم رؤية هلال شوال مع الصحو ليلة احدى وثلاثين مع عدم ورود خبر من مصر اليهم فانهم يصومون يوم الحادي والثلاثين احتياطاً للخروج من العبادة . والغرض عدم الرؤية مع الصحو فان كان غيم اكتفوا بكمال العدد واذا جاءهم خبر الافطار اثناء النهار افطروا ولهم ان يقلدوا الحاكم في مذهبه ويعملوا على الكمال دون التكذيب ويعملوا على رؤيتهم ان تباعد جدا كما سبق عن ابن عبد البر حكاية اتفاق اهل المذهب عليه والذي اراه ان الايسر في مثل هذه الامور تقليد مذهب الحاكم المخالف او اعتبار البعد جدا ان تحقق والله تعالى اعلى وأعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم . »

الفقير اليه تعالى
شيخ الجامع الازهر
سليم البشري

* * *

﴿ رسالة النبي الى الناس كافة ﴾

(س ٢٢) من صاحب الامضاء في (فاقوس)

حضرة الفاضل الاديب من شاع صيته في حل المشكلات صاحب الدراية التامة الشيخ رشيد افندي رضا لازال مصدرا لفك المعضلات

مما ينهى لفضيلتكم انه حصل في ناحية فاقوس البحث بين طائفة ممن يعتنون في البحث عن امور الدين وتجولوا في مسألة التبليغ وهل دعوة نبينا عليه السلام بلغت الى كافة الاقاليم التي من ضمنها قارة امريكا ام لا ؟ وهل هذا الاسم كان لتلك القارة قديما او حدث فيا بعد ؟

فقال بعض الحاضرين ان دعوة نبينا بلغت كافة الأمم مستندا الى قوله تعالى له (وما ارسلناك الا كافة للناس) فعموم هذه الآية يشمل امريكا وغيرها من كافة الاقاليم

وحيث انه عليه السلام مرسل لكافة الناس فيجب عليه تبليغ العموم ولاشك انه عالم بكافة المرسل اليهم وان بعدت جهاتهم

وقال البعض الآخر ان امريكا اكتشفت حديثا وانه لم يوجد تأريخ من التواريخ يدل على ان احدا من الصحابة ذهب الى تلك الاقطار لتبليغ الدعوة وان عدم اكتشاف القارة المذكورة في زمن المصطفى لاينافي كون النبي صلى الله عليه وسلم ارسل للناس كافة لأن حكمها كحكم من كان في جبل ولم تبلغه الدعوة في زمن المصطفى و بلغته بعد وفاته فيكون ممن دخل في حكم الآية الشريفة

ولثقتنا بأن فضيلتكم ممن يعتني بمثل هذه الامور نطلب كشف هذا الأمر وتوضيحه على وجه تام ولكم مزيد الشكر . علي محمد الصواف

الكاتب بمحكمة فاقوس

(ج) ليس الأمر بالمشكل الذي يحتاج الى الايضاح فان بعثة نبينا صلى الله عليه وآله وسلم الى الناس كافة أمر مجمع عليهم معلوم من ديننا بالضرورة ومن المعلوم

بالضرورة عقلا مؤيدا بالنقل ان تبليغ الدعوة للعرب كان بالتدريج وهم قومه وأهل لغته وسكان بلاده فهل يمكن ان يكون مكلفا ان يبلغ البشر كلهم دعوته دفعة واحدة ثم انه بلغ من يقرب من بلاده كالروم والفرس والقبط وما ارسل بلاغا الى أهل الهند والصين ولا اهل اورباوغيرهم من الامم التي كانت معروفة حتى يعم الاشكال في أهل امريكا التي لم تكن معروفة وقد امره الله تعالى ان يقول (واوحي اليَّ هذا القرآن لانذركم به ومن بلغ) فكل من بلغه القرآن فقد بلغته الدعوة ويجب على المسلمين دعوة من لم يتسع عمر النبي (ص) لدعوتهم وكذلك فعل السلف الصالحون وقصر الخلف الطالحون

***

﴿ طريقة الشاذلية الدرقاوية ﴾

(س ٢٣) من السيد مصطفى منصور في (السلمية: دسوق)

حضرة الاستاذ الجليل السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فأرجوك أن تفيدنا عن الفتوى الآتية :

انتشر عندنا وفي انحاء البلاد طريق من طرق الصوفية وسمي طريقة الشاذلية الدرقاوية نسبة الى مولاي العربي الدرقاوي وهذه الطريقة من شعائرها الاجتماع صباحاً ومساء على تلاوة الاوراد والاذكار الا ان من اعمالهم في حال الذكر من قيام التأوه بقولهم (آه آه) معتقدين ان هذه الكلمة اسم من اسماء الله تعالى

وقد رفع هذا السؤال الى حضرة الشيخ عبد العزيز جاويش فانكر ذلك في لواء يوم ١٥ ذي القعدة سنة ١٣٢٧ قائلا بأنه ليس من أسماء الله تعالى ولم يرد في كتاب ولا في سنة صحيحة واسماء الله توقيفية وليس لله الا الاسماء الحسنى وسفه رأي القائلين بانه من اسماء الله

فرد عليه احد شيوخ تلك الطريقة الاستاذ الشيخ محمود حجاري بقوله انه من اسماء الله تعالى مستندا في ذلك على حديث واود في الجامع الصغير في حرف الدال (خ) للبخاري و (ت) للترمذي عن أبي هريرة قال الشارح العزيزي وكذا رواه

مسلم (دعوه) أي المريض (يئن) اي يقول (آه) (فان الانين اسم من اسماء الله تعالى يستريح اليه العليل) وسبب هذا الحديث كما في الكبير عن عائشة رضي الله عنها قالت دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندنا مريض يئن فقلنا له اسكت فقال (دعوه) الخ رواه الرافعي في تاريخ قزوين عن عائشة وهذا الحديث مرتبته الحسن كما قال بذلك سيدي محمد السمراني الشهير بالواعظ ومستندا في ذلك ايضا بما كتبه الباجوري والامير كلاهما على جوهرة اللقاني عند قوله « حتى الانين في المرض كما نقل » وقال وأما دعوى الشيخ جاويش بان ليس لله الا الاسماء الحسنى فردود باجماع المسلمين على ان لله اسماء كثيرة غيرها منها الرب وهو وارد في القرآن في مواضع كثيرة ومنها مليك وهو وارد في القرآن عند قوله تعالى (عند مليك مقتدر) ومنها الحنان والمنان وستار وسيد وكلها ثابتة بالسنة وما يوخذ من حديث «إن لله تسعا وتسعين اسماء» لا يفيد الحصر وحيث اننا في حاجة الى بيان ما عليه هذه الطائفة فنلتمس منكم الفتوى الشرعية في ذلك جعلكم الله منارًا للحق ونبراسا للهدى

(ج) ظهرت الطريقة الدرقاوية في أوائل هذا القرن في بلاد سورية اخذها خلق كثير عن شيخ مغربي كان في عكا اسمه الشيخ علي نور الدين فقامت عليه وعليهم قيامة العلماء ونسبوا اليهم القول بالحلول والاتحاد وبعض المنكرات العملية كالجمع بين النساء والرجال بل قيل ان بعضهم مرقوا من الدين وصاروا إباحيين وجعلوا شيخهم علي نور الدين اليشرطي مثار هذه الضلالات كلها ولكنني رأيت بعض الشيوخ الصالحين يثني على شيخهم ويقول انه بريء من كل ما خالفوا الشرع فيه ومن هؤلاء المبرئين له شيخنا الشيخ محمد القاوقجي الشهير وقد نشر هذه الطريقة في طرابلس الشام الشيخ نجيب الحفار أحد علمائها المشهورين فلم نر من تلاميذه من الفسق ولم نسمع عنه أو عنهم القول بالحلول والاتحاد فالظاهر أن هذه الطريقة كغيرها من الطرائق المشهورة يتبع تأثيرها حال المشايخ الذين يتصدون لنشرها فان كانوا جاهلين ضالين أضلوا العامة بها وإن كانوا على علم وهدى نفعوا من ينتمي اليهم

بقدر مايصل اليه علمهم واخلاصهم . وقلما تسلم طريقة في هذا العصر من البدع ، و بعض الشر أهون من بعض ، والشيوخ هم العمدة . والذكر بالاسماء المفردة لم يرد في الشرع الامر به ولا العمل كما بينا ذلك من قبل ، على أن الخطب فيه سهل

* * *

﴿ الوصية المنامية المكذوبة ﴾

(س ٢٤) من صاحب الامضاء في (دمشق الشام)

حضرة الاستاذ الكامل « السيد رشيد رضا » رافع « منار » الحقيقة في الاسلام رعاك الله

ماقول الاستاذ الرشيد ؟ في الشيخ احمد الداعي نفسه بـ خادم الحرم الشريف ـ وما يذيعه في انحاء البلاد الاسلامية في كل سنة منذ بضع سنين غير قليلة ـ من الرسائل التي يدعي بها كل مرة روءية النبي صلى الله عليه وسلم من الرؤى الشبيهة بالوحي !! وعنها يروي الوصايا الجمة التي يرى فيها المطلع عليها من الانباء المبين وقوعها من زمن مخصوص ! والمغيب أمرها عن الخلق ! واسقاطه فروضا من الدين عن كاتب وصيته أو مستأجرها وغفر ذنوبه ووو . . . واتيانه على لعن من لم يصدقها ويوءمن بها !! الى غير ذلك من الفظائع باسم الدين كما يتضح لكم ذلك في رسالته هذه الاخيرة التي بعثنا بها اليكم : افيدونا ذلك أدامكم الله نجما للهداية ورجما لأرباب الغواية وسيفا قاطعا لرقاب المبتدعين وكهفا للمستهدين والسلام عليكم

ياسين قضماني

(ج) أتذكر انني رأيت في صغري وصية مثل هذه الوصية ارسلت الى والدي رحمه الله تعالى وقد سألت بعض الحجازيين هنا في (القسطنطينية) عن الشيخ احمد الذي ينشر هذه الوصية منذ عشرات من السنين فلم يعرفه أحد ويجوز ان يكون مفتجر الوصية الاولى قد مات وان الذين ينشرونها في هذه السنين قد أعجبهم ذلك فهم يعيدونه بتصرف فيه معزو الى اسم الشيخ احمد . وهذه الوصية ينطبق بعضها

على الشرع دون بعضها الآخر وعندنا من كتاب الله وصحيح احاديث رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ما يغني عن وصايا الرؤى إن صدق الرائي فيها فكيف اذا قام الدليل على عدم صدقه كدعي هذه الرؤيا التي تشهد مخالفة بعض ما فيها للثابت من الشرع وغلط ألفاظها على براءة الرسول (ص) منها

* * *

﴿ الكبريت المسوكر ﴾

(س ٢٥) من صاحب الامضاء في (فوه)

سيدي حضرة العلامة الفاضل السيد محمد رشيد رضا الحسيني صاحب مجلة المنار الغراء

بعد السلام والتحية نبدي لفضيلتكم انه الآن حصل خلاف بين بعض علماء بندر فوه بخصوص مسألة الكبريت ولا سيما المسوكر فنهم من قال بنجاسته وان الحامل لشيء منه لا تصح صلاته ومنهم من قال بطهارته وقد انضم لكل من هؤلاء احزاب وضاعت الحقيقة بين الطرفين . نلتمس الافادة ولسيادتكم من الأمة الاسلامية مزيد الشكر والثناء . امين صندوق جمعية الاصلاح بفوه

محمد عبد الحميد

(ج) بينا غير مرة في المنار ان النجس هو الشيء القذر الشديد القذارة والذي يؤخذ من مجموع كلام فقهاء المذاهب أن الشيء المتنجس يطهر بما يزيل القذارة كالماء والنار والشمس والدبغ والاستحالة . وكل ماقالوه في ذلك حق ومجموعه هو حكم الشرع في طهارة المتنجس وان كان بعضهم لا يعترف بما يخالفه به الآخر ولا يلتفت الى دليله فيه لانه مقلد . والكبريت ليس قذراً في نفسه ولا نعلم ان فيه شيئاً من الاقذار النجسة . وسمعت بعض الناس يقول انه نجس لان فيه شيئاً من مادة السبيرتو او الكحول وقد بينا من قبل في المنار (ص ٥٠٠ و ٨٢١ و ٨٦٦ م ٤) ان الكحول او السبيرتو لا يقوم دليل على نجاسته . والحاصل ان الاصل في الاشياء الطهارة لاسيما اذا كانت لا قذارة فيها

ولم يتم في الكبريت دليل ينقض هذا الاصل فلماذا نضيق على المسلمين ونوقعهم في الحرج بما لا يزيدهم صلاحا في نفوسهم ولا نظافة في ابدانهم مع علمنا بأن الشرع ما حثنا على الطهارة وأمرنا باجتناب النجاسة إلا لأجل ان يكون المؤمن دائما نظيفا ومن زعم انه كلفنا ذلك لاجل إعناتنا وإحراجنا فكتاب الله حكم بيننا و بينه قال تعالى (ما يريد الله ليجعل عليكم في الدين من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون)

باب المقالات

اصلاح الخط العربي

مزية الخط العربي الكبرى التي يمتاز بها على الخط الافرنجي وغيره هي الاختصار فالكلمة الافرنجية تأخذ من مساحة الصحيفة مثل ما تأخذه الكلمة العربية مرتين اومرات كما ترى في اسم (محمد) ويرسم هكذا بحروف الطبع عندهم (Mohammad) ولكن في الخط العربي نقصا لاتشفع له هذه المزية ولا أضعافها من المزايا لووجدت وهو ان معرفته لاتكفي لصحة قراءته بل يحتاج عارفه الى عدة علوم وفنون وحفظ الكثير من المفردات والفروق لأجل ان يصحح قراءته فكلمة «ملك» على صغرها تقرأ على وجوه كثيرة

مَلَكَ مَلَكٌ مَلَكٍ مَلْكٌ مَلْكٍ مِلْكِ مُلْكٌ مُلْكٍ مِلْكٌ مِلْكٍ مَلَّكَ مِلَكَ مَلَّكْ مُلَّكٌ مُلَّكٍ مُلُكٌ مُلُكٍ ولهذه الصيغ كلها معان وتقرأ على وجوه أخرى ليس لها كلها معان مستعملة في هذه اللغة لأن الميم فيها ثلاثة اوجه الفتح والضم والكسر واللام فيها هذه الثلاثة مع التخفيف ومع التشديد وفيها السكون والكاف فيها الوجوه الثلاثة مع التنوين والتشديد وعدمهما فيحصل من ضرب وجوه الميم وهي ثلاثة في وجوه اللام وهي سبعة ٢١ صورة

تضرب في وجوه الكاف وهي ١٢ يحصل ٢٥٢ ولك ان تضيف اليها السكون مع التشديد وعدمه فتلك ستة تضرب بها في ٢١ يحصل لك ١٢٦ فالمجموع زهاء ٤٠٠ صورة ! . ويكفي في الخلل ان تشتبه الكلمة بوجهين فقط كالمنتخب بكسر الخاء وفتحها بأن لا يخطر في بال قارئها ضبط آخر لها

ترتب على هذا الخط مفاسد كثيرة اهمها جعل اللغة العربية وعلومها عسرة التحصيل وكتبها عرضة للغلط والتحريف وكون قرائها كثيري الغلط واللحن حتى انه لا يكاد يوجد الآن في علمائها من يقرأ بدون لحن ولا غلط قط فما بالك بغير العلماء ! . ولولا هذا العيب في خطنا لكان اكثر العامة الذين يتعلمون القراءة والكتابة قويمي اللسان بهذه اللغة وان لم يتعلموا النحو والصرف ويكثروا المراجعة في المعاجم ولكانت ملكتها قوية فيهم وفهمها يسيرا عليهم فكيف كان يكون شأن العلماء منهم ؟

وفي هذا الخط عيب آخر ضارٌ وهو تشابه حروفها الذي كان سبب كثرة التصحيف والتحريف في كتبها حتى انك ترى الالوف من أسفارها المكتوبة في القرون الخالية لا يوثق بها او لا يستفاد المراد منها او يحتاج فيها الى المراجعة وإطالة النظر ليعرف الاصل الصحيح منها

قد اهتدى بعض الأذكياء من أوائلنا الى هذين العيبين في خطنا فوضعوا النقط للتفرقة بين الحروف المتشابهة وكانت تكتب من غير نقط ، ووضعوا الشكل لأجل ضبط الكلمات لتكون القراءة صحيحة لا لحن فيها ولا غلط ، ولكن هذين العلاجين لم يشفيا العلة ، ولم يرويا الغلة . فاما النقط فمع التزام اكثر المتقدمين وجميع المتأخرين له يكثر التصحيف في مخطوطاتهم فان نقطة الفاء اذا جاءت كبيرة ولو بغير تعمد تقرأ قافا وقطتي القاف اذا كتبتا صغيرتين او ذهب جزء منهما بسبب ما قرىء القاف فاء ، ويقال مثل ذلك في الباء مع الياء والتاء مع النون . وكثيرا ما يؤخر الكاتب النقطة عن مكانها من الحرف او يقدمها قليلا فتشتبه الكلمة بكلمة اخرى ولاسيا في الحروف التي تكون في أول الكلمة او وسطها نبرة دقيقة وهي الباء والتاء والثاء والنون والياء فكلمة يبني من البناء تصير بتقديم وتأخير قليل لنقطتي النون والباء « ينبي » من الإنباء . ويمثل ذلك تشتبه الانباء بالابناء وعلى ذلك قس

واما الشكل فيحصل فيه مثل هذا التقديم والتأخير الذي يكون في النقط لدقته وقرب الحروف بعضها من بعض فيترتب على ذلك الخطأ القطعي او الاشتباه وكلاهما شر . وهو مع ذلك عسير كأن الكاتب يكتب الكلمة مرتين مرة بحروف كبيرة ومرة بحروف دقيقة جدا ولذلك تركه الناس في غير المصاحف الاقليلا . وهو يعسر في الطبع كما يعسر في الخط ولذلك تكون أجرة طبع المشكول مضاعفة ، وأدوات الشكل يسرع اليها الكسر في المطابع لدقتها فيفسد الشكل او يزول في اثناء الطبع ، وقلما تجد نساخا يضبط لك شكل كتاب ينسخه لك فيجيء صحيحا ، واندر من ذلك من يستطيع ان يشكل كتابا لم يكن مشكولا فان هذا عمل لا يقدر عليه الا المتمكنون من فنون اللغة كلها مع التمكن من العلم الذي يتضمنه ذلك الكتاب وفهم كلامه بالقرائن والاستعانة على ذلك بمراجعة كتب اللغة وغيرها

اذا أصلح الخط العربي بكتابته مضبوطا غير متشابه الحروف يكون ذلك مزيدا في أعمار العرب والمسلمين الذين يكتبون بحروفهم لانهم يتعلمون في أقل من نصف المدة التي يتعلمون فيها الآن ، ومزيدا في ثروتهم لانهم لا ينفقون حينئذ على التعليم ونسخ الكتب وطبعها الا بعض ما ينفقونه الآن ، ويكون سببا لسرعة ارتقائهم في العلوم والفنون والمدنية لان هذا يتوقف على سهولة التعليم وتعميمه . و بذلك تنتشر اللغة العربية بين المسلمين من الاعاجم بسرعة عظيمة فيقوى فيهم الاسلام نفسه فتنمي به آدابهم وفضائلهم ويأمنون من نزغات الالحاد التي تدخل عليهم الآن من كل باب من أبواب التعليم على منهاج الافرنج فتحل روابطهم الاجتماعية وتفسد آدابهم الملية فيفشو فيهم الفسق والخيانة اذ لا يكون لهم همٌّ الا في الاستكثار من المال لاجل التمتع بلذات الدنيا التي ليس وراءها حياة عندهم .

إن المسلم الذي لا يفهم القرآن فهما صحيحا ولا يعرف السيرة النبوية معرفة حقيقية يسهل تحويله عن الاسلام بالتعاليم الافرنجي وان كان من العرب الذين فسدت ملكتهم العربية كأهل بلادنا كلهم فكيف اذا كان أعجميا ؟، كنت في مجلس فرأيت أحد الضباط الشبان يحادث طبيبا صديقا لي بجانبه فكان مما قاله له انه يعجب أن يراه متدينا مع تلقيه للعلوم العالية واصل هذا الدين وأساسه القرآن ؟ (قال) وهو كتاب لم

أو مثله كتابا ركيكا مسلطا يسرع الملل الى قارئه !!! قال لي الطبيب يقول هذا وهو لايفرق بين الاسم والفعل في العربية ولا يفهم آية فهما صحيحا ! فقلت له ان هذا أحد السببين في ملله من القرآن ، والسبب الثاني هو كفره المادي التقليدي الذي حبب اليه الشهوات والانطلاق من قيود التقوى وكرّه اليه الايمان والعمل الصالح ، ومثل هذا القول لا يصدر عن عربي مؤمن ولا كافر فهما كان حظ العربي من اللغة ضعيفا يفهم في الجملة علوّ القرآن على سائر الكلام . قال الدكتور شبلي شميل وهو فيلسوف مادي مشهور في النبي صلى الله عليه وآله وسلم

إني وان ألك قد كفرت بدينه هل أكفرنّ بمحكم الآيات
أو ماحوت في ناصع الالفاظ من حجج روادع للهوى وعظات
وشرائع لو أنهم عقلوا بها ماقيدوا العمران بالعادات

وأثبت الاستاذ جبر ضومط معلم البلاغة في المدرسة الكلية الامريكانية ببيروت في كتابه (الخواطر الحسان في المعاني والبيان) ان القرآن معجز ببلاغته وأسلوبه . وما يؤثر عن مشركي العرب البلغاء في ذلك مشهور لامحل لشرحه هنا وانما نقول ان اشهر وَصْف وُصف به القرآن هو كونه لاتمل تلاوته «ولا يخلقه عند أهل التلاوة كثرة الترديد » ويظن بعض الناس ان اعتقاد حقيته والاجر على تلاوته هو السبب في عدم الملل فاننا نعتقد حقية الاحاديث الصحيحة والاجر في مدارستها ولكننا اذا قرأنا صحيح البخاري كما نقرأ القرآن دائما على تمادي الايام والسنين نمل من قراءته ولا نستطيع أن نواظب عليها مع النشاط واللذة كما نواظب على تلاوة القرآن . والسبب الحقيقي لعدم الملل من تلاوة القرآن هو أسلوبه الغريب في مزج الحكم والاحكام والقصص والامثال والعظات والبينات ووصف محاسن المخلوقات وسنن الله في الاقوام والالهيات وأصول الايمان ـ مزج كل هذه العلوم بعضها ببعض في جميع السور في عبارات بليغة عالية مؤثرة كما بينت ذلك في العقيدة التي وضعتها للمتوسطين من طلاب العلوم والفنون وانما اطلت في هذا الاستطراد لانبه على أن الجهل بالعربية وعدم فهم القرآن هو الذي يمهد طريق الالحاد ومنه يعلم خطأ الذين

يقولون بترجمة القرآن كعبيد الله افندي من علماء الترك وصاحب جريدة العرب التي يبث فيها هذا الفكر ليقنع به قراءها وماهم بالذين يقتنعون

ونعود الى اصل الموضوع فنقول ان اذكياء المسلمين من العرب والترك وأذكياء نصارى العرب من السوريين قد فكروا في مسألة إصلاح الخط العربي في أواخر القرن الماضي وأتذكر ان شيخنا الجسر رحمه الله تعالى قد أطلعني في ايام الطلب على حروف رسمها بعض الاذكياء قد جعل الشكل فيها متصلا بالحرف فيكون للحرف عدة أشكال مع حفظ صورته الاصلية ولم يكن هذا مرضيا لمن اطلع عليه من الباحثين. وبحثت مجلة المقتطف في هذه المسألة فكان من رأي الباحثين فيها ان يكتب العرب لغتهم بالحروف اللاتينية التي يكتب بها الافرنج واستحسن اصحاب المجلة هذا الرأي ان لم تكن ذاكرتي مخطئة — ولكن لم يستحسنه ولن يستحسنه المسلمون . وقد تصدى بعض الافرنج كالانكليزي ويلمور الذي كان قاضيا في مصر لترويج هذا الأمر والاقناع باختيار اللغة العامية على اللغة الفصيحة ويرى المطلعون على المجلد الاول من المنار مقالاً طويلا منشورا في موضعين (ص١٠١ و١٢٠) في مقاومة هذا الرأي عنوانه (صدمة جديدة على اللغة العربية) سببه ان بعض الدعاة الى إقناع العرب باختيار الحروف اللاتينية قد نشر مع بعض الجرائد اليومية بمصر منشورا يدعو فيه الى كتابة اللغة العامية بهذه الحروف وعين جوائز مالية لمن يفعل ذلك . ومن البديهي ان غرض هؤلاء الدعاة هدم اللغة العربية والاسلام جميعا وما ذلك بالامر المستطاع ولو أنفقوا في سبيله جميع ما في اوربا من الذهب

واخترع جميل افندي الزهاوي من اذكياء بغداد خطا جديدا هو أمثل من الخط العربي ومن الخط الافرنجي وعرضه على الناس في مجلة المقتطف فلم يحفل به أحد لان المسلمين هم اصحاب الشأن في هذا الامر ولا يرضون بأن يتغير الخط الذي هو من مقوماتهم الملية وقد كتبت به مصاحفهم وأسفار سلفهم ولاسيما اذا كان التغيير بالانتقال الى خط أعدائهم السياسيين الذين يريدون إزالة سلطانهم من الارض وجعلهم أجراء مسخرين لخدمتهم وهم الافرنج

ذاكرت احمد مختار باشا الغازي في هذه المسألة بمصر منذ سنين فكان مما

قال لي اننا فكرنا في هذه المسألة من قبل وتذاكرت انا وناظر المعارف وغيره من كبار رجال الدولة في وجوب إصلاح خطنا ليقرأه صحيحا كل قارئ، فان ضرر هذا الخط علينا عظيم ولا سيما في العسكرية فاننا نرسل الضباط من اركان الحرب لخرت بعض المواقع وضبط اسماء معاهدها وطرقها واقراها فيكتبون لنا اسماء لانقرأها صحيحة وقد يكون الغلط والاشتباه فيها سببا للفشل في الحرب اذا وقعت فيها فكان من رأيي أن تكون نظارة الحربية أول من يستعمل الخط المضبوط في جغرافيتها فذلك لا يؤثر في التعليم الديني والادبي ولا يهيج علينا المتعصبين من العلماء لكل قديم . ولكن لم يكد ينتشر بين الناس خبر هذا كرتنا في ذلك حتى لغط به الناس وعدوه جناية على الاسلام و بلغني ان بعضهم قال نحن لانعتب على فلان باشا وفلان باشا اذا قالوا مثل هذا القول لقلة مبالاتهم بالدين ولكن نعتب على احمد مختار باشا (اوقال مختار بك لانه لم يكن يومئذ باشا) الذي كنا نظن انه مسلم متدين . ثم قال لي بهذه المناسبة

« ان الاصلاح لايمكن ان يأتي من تحت الطربوش بل لابد أن يكون من تحت العمامة فاذا لم يوجد في علماء المسلمين من يقوم بالاصلاح فلا يصلح حالهم حتى ان الخليفة الذي هو امام المسلمين ورئيسهم الديني لايمكنه وقد خرج من الهيئة العلمية الدينية ان يأتي باصلاح جديد للمسلمين مالم يفته في ذلك شيخ الاسلام »

هذا - وانني في السنة الماضية قد رغبت الى المفكرين في الاصلاح اللغوي من اعضاء نادي دار العلوم بمصر ان يبحثوا في هذه المسألة وأن يراجعوا فيها انواع الخط الكوفي وغيره من الخطوط الاسلامية القديمة ويختاروا منها حروفا لا يشتبه بعضها ببعض ولو بالتلفيق وان يبحثوا ايضا في طريقة كتابتها مضبوطة بغير هذا الشكل الدقيق العسر . وكان بعض المفكرين من الفرس وغيرهم رأى ان تكتب الحروف العربية المشهورة الآن مقطعة ويجعل الالف بعد الحرف المفتوح

والواو بعد الحرف المضموم والياء بعد الحرف المكسور وان يكتب الحرف المشدد مرتين كما هو الاصل فيه ولذلك يسميه الصرفيون مضاعفا ورأيت كتابا مطبوعا على هذه الطريقة ولكن فيها اشكالات ومعايب ولم يرضها اكثر المطلعين عليها

ولما جئت القسطنطينية في العام الماضي عرفت فيها الطبيب اسماعيل حقي افندي الميلاسلي فرأيته مهتما بهذه المسألة أشد الاهتمام وقد وضع فيها كراسة لإصلاح هذا الخط على ان يكتب حروفا مقطعة ويكتب بجانب كل حرف من حروف الكلمة حرفا لضبط حركته يقرب من حروف العلة لانه يرسم بتغيير ما فيها وزاد حروفا جديدة لضبط الخط التركي لأن في اللغة التركية من الاصوات ما لا مثل له في العربية. وهو يوزع هذه الكراسة على من يرجو منهم العناية بهذا الاصلاح جزاه الله خيرا ولكن هذا الخط يحتاج الى تعليم جديد ولا ينطبق على القديم من كل وجه وفيه علل أخرى فلا أرى ان الجمهور يقبله كما هو

ورأيت هنا (في القسطنطينية) أيضا بحثا وجدالا بين الارنؤط في المفاضلة بين الحروف العربية والحروف اللاتينية فكان بعضهم يرجح الحروف اللاتينية لأن لغتهم تتأدى بها أداء صحيحا لأن حروفهم وأصواتهم عين حروفها وأصواتها ولأنها هي الاصل المستعمل عندهم. وخالفهم الاكثرون محتجين بأن تلك الحروف تبعدهم عن الاسلام والحروف العربية تقربهم منه وقد نفذ رأي الاكثرين بعد ان انتصر لهم اكثر المبعوثين منهم وصدر أمر الحكومة باعتماد الحروف العربية في تعليمهم وكانوا يتعلمون لغتهم في بعض مدارس الحكومة بالحروف اللاتينية. وقد ذاكرت اسماعيل كمال بك اشهر مبعوثيهم في هذه المسألة وقلت له اذا ترجح عندكم استعمال الحروف العربية فيحسن أن تستعملوها على طريقة إصلاحية اذ لاصعوبة في ذلك عندكم كما يصعب على ان من ألفوا الطريقة القديمة التي يكثر خطأها وتحريفها. فقال انه لا يمكن ان يكون بدء هذا الاصلاح من شعب اسلامي صغير بل يجب ان يبدأ بمثل هذا العرب انفسهم وسائر المسلمين يتبعونهم فيه

هذا ملخص ما أتذكره الآن من شعب هذه المسألة المهمة وان لي رأيا في هذا الاصلاح كنت أريد ارجاءه الى الوقت الذي يسهل فيه إيضاحه و يرجى قبوله

ولكن قويت الداعية الى التنويه به الآن وسأوضحه في فرصة أخرى بعد سبك الحروف على الوضع الذي يتضح به

أرى انه يمكن اصلاح هذا الخط إصلاحا يحافظ فيه على أشكال الحروف المعهودة، وشكولها المعروفة، أومايقرب منها، ولا يحتاج فيه الى تعليم جديد للمتعلمين، ولا الى ابطال كتب السابقين، ويؤمن فيه مع ذلك من الاشتباه والتحريف والتصحيف والغلط الكثير، من غير إضاعة لما فيه من مزية الاختصار بالمرة، وليبدأ هذا الاصلاح بالطبع فهو من مسهلاته مع قلة النفقة . وانا نشير الى ذلك بالايجاز ثم نشرحه عند مايتيسر لنا سبك حروف جديدة له عند عودتنا الى مصر الا أن يفهمه ابراهيم بك رمزي صاحب مسبك التمدن بمصر أو بعض ذوي العناية هنا فيعجلوا بسبك الحروف له فيكونوا من السابقين الى الاصلاح الذي نحمده لهم ونشكرهم عليه

أرى ان تكون الحروف متفرقة فهذا شرط لايتم الاصلاح بدونه ولكن الحروف التي تتصل بغيرها تكتب على حدتها بالصورة التي تكون عليها اذا كانت في أول الكلمة الا مااشتبه بغيره منها وكان المميز له النقط فقط فيترك على وضعه المفرد من غير تغيير او بتغيير قليل لايخفى به على أحد ولا يحتاج معه الى تعليم جديد ولايكتفى بالتمييز بالنقط .وذلك ان تكون الباء دائما هكذا (ب) والتاء مثلها ولكن نبرتها أو سنها تكون من الاسفل كاترسم في خط الثلث (ت) والثاء والنون والياء هكذا دائما (ث، ن، ي) والجيم هكذا (ج) والحاء مثلها ولكن يلتقي الطرفان الايسران منها اللذان كضلعي الزاوية او تجعل كثلث هكذا (ح) وأما الخاء المعجمة فتكون هكذا (خ) بزيادة نبرة من الطرف الايسر. ويفرق بين الدال والذال بجعل أحدهما على الصورة التي يكتبه بها المغاربة اي بزيادة شنخوب فيكون قريبا من الكاف الصغيرة في أول الكلمة ولايشتبه بذلك على احد . ويفرق بين الراء والزاي كما يفرق بينهما في قاعدة الثلث (ر، ز) و بين السين والشين كذلك بجعلهما هكذا (س، ش) . و بين الصاد والضاد هكذا (ص، ض) و بين الطاء والظاء بجعل عمود احداهما معقوفا كما يرسم في الخط الديواني . و بين العين والغين بجعل احداهما ذات شنخوب كما ترسم في

الخط الثلث أحياناً — و بين الفاء والقاف هكذا (ڢ ، ق) ولا بأس بجعل نقطة الفاء من الاسفل ونقطة واحدة للقاف من الاعلى كما يكتب المغاربة . وتكتب سائر الحروف هكذا (ک ، ل ، م ، ن ، ه ، ة ، و) والرسم الثاني للهاء يخص بالمشتركة بين التاء والهاء. وهمزة الوصل تكتب ألفاً بغير علامة أو بالعلامة المشهورة هكذا (أ) وهمزة القطع هكذا (أ) والممدوة هكذا (آ) وأما ألف المدفيقى على صورته (ا) إن جعلنا همزة الوصل ذات علامة والاجعلناه هكذا (ا) وواو المد يكون هكذا (ـو) وياء المد هكذا (ـے)

هذا مانكتبه الآن في وصف هذا الضرب على اصلاح الحروف بالاختصار ونرجىء التفصيل و بيان الجزئيات الى ان تسبك الحروف على الوضع الذي أشرنا اليه

وأما الشكل الذي يضبط به الكلام وهو الاهم فيمكن ان يستغني فيه عن علامة الفتح لانه هو الاكثر ويوضع للرفع والكسر هذه الاداة المعروفة في طباعتنا الآن (،) ويفرق بينهما بكيفية وضعها هكذا (و ـ ،) واذا كان الحرف منوناً توضع مزدوجة هكذا (و ـ ،،) والحرف المفتوح المنون يوضع له علامة أخرى إما العلامة المشهورة وإما غيرها كعلامة التعجب المشهورة في المطبوعات العصرية مكررة مرتين فقط (!!) وعلامة السكون المعهودة في شكلنا تجعل كبيرة وتبقى على حالها . واما الحرف المشدد فاما أن نبقي له علامته المشهورة مع تكبيرها قليلا واما ان نكتبه مرتين كما هو الاصل فيه

هذا ما أعرضه الآن موجزاً مجملا على نادي دار العلوم بمصر وعلى محبي الاصلاح من العلماء وأصحاب الجرائد والمطابع والمسابك ليبحثوا فيه ولهم ان يختاروا بعض الاشكال والشكول على بعض ولكن لاينبغي أن يطول السكوت على هذا الخلل العظيم والله الموفق

اطوار اللغة العربية (*

لم يأت الباحثون عن مبدأ اللغة في ادلتهم بما تطمئن اليه النفوس ويحل منها محل القطع او الظن القريب منه، على ان اختـلافهم في تعيين الواضع هل هو الله تعالى اوالبشرمما لاتترتب عليه فائدة في العمل تقتضي العناية بترجيح احدالمذهبين ومن ثم صحح المحققون ان ادخال هذه المسألة في علم الاصول من الفضول، وزعم بعضهم ان قلب الالفاظ التي يؤدي تغيرها الى فساد في احكام الشريعة كتسمية الثوب فرسا والفرس ثوبا يرجع حكمه الى اصل ذلك الخلاف فيمتنع القلب على القول بان اللغة كلها وقعت بتعليم من الله ويجوز على القول بانها وضعت باصطلاح البشر وليس هذا البناء بمستقيم فان مجرد اسناد الوضع الى الله تعالى وان ثبت بالحجة القاطعة لايقتضي الوقوف عند حد ما ورد منه والامساك عن تغييره باصطلاح جديد

وأقصى ماثبت في التأريخ ان هذه اللغة كانت في قبائل من ولد سام بن نوح عليه السلام وهم عاد وثمود وجرهم الاولى ووبار وغيرها وقدانقرضت اجيال هؤلاء الا بقايا متفرقين في القبائل ولا يصح شيء مما يروى عنهم من الشعر، وقد انكر العارفون على من كتب في السيرة أشعارا كثيرة ونسبها الى عاد وثمود. ثم انتقلت الى بني قحطان وكانوا يتكلمون باللسان الكلداني لسان اهل العراق الاصليين واول من انعدل لسانه الى العربية يعرب بن قحطان وبعد ان نشأت منها الحميرية لغة اهل اليمن انتقلت الى اولاد اسماعيل عليه السلام بالحجاز، ولم تكن لغة اسماعيل عربية بل كان عبرانيا على لسان ابيه ابراهيم عليه السلام، ثم انخرط في شعوب العرب بمجاورتهم ومصاهرته لجرهم الثانية حين نزل بمكة فنطق بلسانهم وورثه عنه اولاده فأخذوا يصوغون الكلام بعضه من بعض و يضعون الاسماء بحسب ما يحدث من

*) بقلم الشيخ محمد الخضر بن الحسين من العلماء المدرسين بجامع الزيتونة بتونس في مسامرته «حياة اللغة العربية»

المعاني الى ان ظهرت اللغة في كامل حسنها و بيانها وصار لها شأن عظيم وتأثير بليغ

ويدلك على عنايتهم بامر الفصاحة ما وصل الينا من نتائج افكارهم و بدائع خطبهم وقصائدهم في سوق عكاظ وسوق مجنة اذ يفدون عليها في موسم الحج ويقيمون في عكاظ ثلاثين يوما وفي مجنة سبعة ايام يتناشدون ماوضعوه من الشعر ويتفاخرون بجودة صناعة الكلام وعند احتفالهم يضربون قبة للشاعر العظيم في وقته كالنابغة الذبياني ويعرضون عليه منتخبات اشعارهم ، وكان بعضهم يهدد بعضا بنظم الهجاء وتسييره في ذينك الموضعين قال امية بن خلف يهدد حسان رضي الله عنه

ألا من مبلغ حسان عني مغلغلة تدب الى عكاظ

وقال حسان في جوابه

اتاني عن امية زور قول وما هو في المغيب بذي حفاظ
سأنشر ان بقيت له كلاما ينشر في المجنة مع عكاظ

ومن شواهد هذا ان الحارث بن حلزه اليشكري كان شاعرا حكيما ولكنه ابتلي بوضح (برص) ومن اجله كان عمرو بن هند ملك الحيرة يكره النظر اليه ويأبى ان يستمع إلى خطابه الا من وراء ستار، فدخل عليه يوما وانشد بين يديه قصيدته المعدودة في المعلقات

آذنتنا ببينها اسماء رب ثاو يمل منه الثواء

وتعرض فيها الى شيء من الصلح بين بكر وتغلب فبهرت عمرا براعة نظمها واستولت على لبه بسحر بيانها فأخذته هزة وارتياح ولم يتمالك ان امر برفع الستار ما بينهما

واقتضت عناية العرب لذلك العهد بالابداع في القول والتنافس في مقام الفصاحة أن ظهرت معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم في بلاغة ما انزل عليه من القرآن ، كما جاء عيسى عليه السلام يبرئ الاكمه والابرص ويحيي الموتى باذن الله لما اوسل الى قوم توفرت عندهم العناية بعلم الطب ، وكما بعث موسى عليه السلام الى امة انتهى السحر فيها الى غاية فاتاهم في مقام المعجزة بابدع ما يكون في قلب الاعيان وإراءتها في غير صورتها الاولى

ثم ارتقت اللغة في صدر الاسلام الى طورها الاعلى ودخلت في اهم دور يحق علينا ان نسميه عصر شبابها فنمت عروقها واثمرت غصونها بالوان مختلفة من الاساليب

ومن مآثر هذه الحياة الراقية ان كان كلام الناشئين في الاسلام من العرب احلى نسقا واصفى ديباجة من كلام الجاهلية في شعرهم وخطبهم ومحاوراتهم

والاسباب التي ارتقت بها اللغة حتى بلغت اشدها واخذت زخرفها امور ثلاثة :

أحدها ما جاء به القرآن الحكيم من صورة النظم البديع والتصرف في لسان العرب على وجه يملك العقول فانه جرى في أسلوبه على منهاج يخالف الاساليب المعتادة للفصحاء قاطبة وان لم يخرج عما تقتضيه قوانين اللغة واتفق كبرا وهم على اصابته في وضع كل كلمة وحرف موضعه اللائق به وان تفاضل الناس في الاحساس بلطف بيانه تفاضلهم بسلامة الذوق وجودة القريحة

ومن النحاة من يحكم على بعض استعمالات يرد عليها القرآن بعدم القياس عليها كما قصروا حذف حرف المصدر ورفع المضارع بعده على السماع بعد ان أو ردوا في مثاله قوله تعالى «ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا » الآية . ولا أدري كيف يتفق لهم هذا مع علمهم بأنه صاحب البلاغة التي ليس وراءها مطلع ، وإنا لنعلم قولهم في أصول العربية أن ماقل في السماع ان كان مقبولا في القياس صح القياس عليه وان وجد ما يعارضه في القياس يوقف على السماع فنسلم لهم اجراء هذه القاعدة في كلام العرب لاحتمال ان تزيغ السنتهم عن القصد فيحرفون الكلمة عن اصل استعمالها غلطا ولا نسلم لهم تحكيمها في كتاب الله الذي أخرس بفصاحته لسان كل منطيق

ثانيها ما تفجر في اقوال الرسول صلى الله عليه وسلم من ينابيع الفصاحة وما جاء في حديثه من الرقة والمتانة والابانة عن الغرض بدون تكلف: روي ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه قال لقد طفت في احياء العرب فما رأيت احدا أفصح منك يارسول الله» قال« ومايمنعني وانا قرشي وارضعت في بني سعد و بنو سعد أفصح قبيلة في العرب بعد قريش »

وانما اغضى علماء اللسان النظر عن الاستشهاد بالحديث لان رواته لم يجمعوا عنايتهم على ضبط الفاظه كما كانوا يتثبتون في نقله على المعنى ولو تحقق أهل العربية

من رواية حديث بلفظه كالاحاديث المنقولة للاستشهاد على فصاحته صلى الله عليه وسلم لاستندوا اليه في وضع احكامها يقينا

ثالثها ما افاضه الاسلام على عقولهم بواسطة القرآن والحديث من العلوم السامية وبما نتج عن تعارف الشعوب والقبائل والتئام بعضها ببعض من الافكار ومطارحة الآراء ومعلوم ان اتساع العقول وامتلاءها بالمعارف مما يرقي مداركها ويزيد في تهذيب المعيتها فتقذف بالمعاني المبتكرة وتبرزها في اساليب مستحدثة فان كثرة المعاني ودقتها تبعث على التفنن في العبارة والتأنق في سياقها ويوضح لكم هذا ان الناشئين في الحواضر تجدهم في الغالب اوسع غاية في اجتلاب المعاني الفائقة واهدى الى العبارات الحسنة ممن يعادلهم في جودة القريحة وفصاحة المنطق بفطرته لاشتمال المدن على معان شتى ينتزع الذهن منها هيئات غريبة لا طريق لتصورها الا المشاهدة

ولما فارقت العرب الحجاز لابلاغ دعوة الاسلام وبث تعاليمه بين الامم اقتضت مخالطتهم لمن يحسن لغتهم ضعف ملكاتها على السنتهم ودخول التغيير عليها في مبانيها واساليبها وحركات اعرابها وابتدأ التحريف يسري الى اللغة في عهد الخليفة الرابع علي بن ابي طالب رضي الله عنه فاشار على أبي الأسود الدؤلي بوضع علم النحو ولم يزل ائمة العربية يحوطونها باستنباط القواعد حتى ضربوا عليها بسياج يقيها عادية الفساد ويحول بينها وبين غوائل الضياع والاضمحلال وحين انتشرت المخالطة وتفشي داء اللحن امسك العلماء عن الاستشهاد بكلام معاصريهم من العرب ويعدون اول المحدثين الذين لا يستشهد باقوالهم بشار بن برد المتوفى سنة ١٦٧ واحتج سيبويه بشيء من شعر بشار بدون اعتماد عليه وانما اراد مصانعته وكف اذايته حيث هجاه لتركه الاحتجاج بشعره كما استشهد ابو علي الفارسي في كتاب الايضاح بقول ابي تمام

من كان مرعى عزمه وهمومه روض الاماني لم يزل مهزولا

وليس من عادتهم الاستشهاد بشعر أبي تمام لان عضد الدولة كان يعجب بهذا البيت وينشده كثيرا

واستشهد صاحب الكشاف عند قوله تعالى (واذا اظلم عليهم قاموا) ببيت من شعر ابي تمام وقال وهو وان كان محدثا لا يستشهد بشعره في اللغة فهو من

علماء العربية فاجعل مايقوله بمنزلة ما يرويه . فيؤخذ من صريحه انه يرى صحة الاحتجاج بكلام المحدث اذا كان من ائمة اللغة وليس مذهبه هذا بسديد وقياس ما يقوله ابو تمام على مايرويه غير صحيح فان التكلم بالعربية الصحيحة لعهد ابي تمام ناشيء عن ملكة تستفاد من تعلم صناعتها ومدارسة قوانينها فعلى فرض ان لا تفوته معرفة بعضها قد يذهل عن ملاحظة تلك القوانين فلا يأمن ان يزل به لسانه في خطأ مبين . وابو تمام نفسه صدرت عنه ابيات كثيرة خرج فيها عن مقاييس العربية قال ابن الاثير لم اجد احداً من الشعراء المفلقين سلم من الغلط فاما ان يكون لحن لحنا يدل على جهله بمواقع الاعراب واما ان يكون اخطأ في تصريف الكلمة ولا اعني بالشعراء من تقدم زمانه كالمتنبي ومن كان قبله كالبحتري ومن تقدمه كأبي تمام ومن سبقه كأبي نواس

اما العربي القح فإنه يطلق العبارة بدون كلفة في اختيار الفاظها او ترتيب وضعها فتقع صحيحة في مبانيها مستقيمة في اعرابها ولا يكاد يلحن في اعراب كلمة او يزيلها عن موضعها اذا ترك لسانه وسجيته ومن ثم كان قرض الشعر كالخطابة على الارتجال والبديهة شائعا عند العرب نادراً في عصر المولدين، ولا يعترض هذا بان كثيرا من العرب يطيل المدة في عمل القصيدة كما فعل زهير في حولياته لأنه يستوفيها في امد قريب ويتمها على شرط الصحة ولكنه لا يخرجها للناس اذا فرغ من عملها الا بعد التروي واعادة النظر في تقويم معانيها وحسن النسق في بنائها وإحكام قوافيها لا ليخلصها من اللحن ويطبق عليها اصول العربية كما هو شأن المحدثين

ثم نشأ بهذا التحريف الذي طرأ على اللغة مرض آخر انجر اليها بسبب من اسباب حسنها هو ان مسلم بن الوليد وابا تمام امعنا النظر في اشعار الفصحاء وخطبهم وحسروا اللثام عن وجه بيانها فابصروا فيها محاسن من فنون البديع كالاستعارة والجناس والتورية فشغفوا بها وثابروا على ايرادها في منظوماتهم توفيرا لحسنها واستزادة من التأنق فيها فكان الناس يقولون ان اول من افسد الشعر مسلم بن الوليد وسمع اعرابي قصيدة ابي تمام التي يقول في طالعها :

« طلل الجميع اراك غير حميد »

فقال ان في هذه القصيدة اشياء افهمها واشياء لا افهمها فاما ان يكون قائلها اشعر من جميع الناس واما ان يكون جميع الناس اشعر منه . وما تعاصى فهمها على الاعرابي الالكونه سمع شعرا حشي بوجوه من البديع خرجت به عن الاسلوب المألوف فثقل تأليفه وبعد عن الافهام تناوله

واتبع طريقهما كثير من الادباء وربما انتهى بهم الاعجاب بمحاسن البديع الى مخالفة قانون العربية وتغيير بنية الكلمة من اجلها كقول بعضهم

انظر الي بعين مولى لم يزل يولي الندى وتلاف قبل تلافي

فكأنه زاد في مصدر تلف الفا يتم له الجناس مع قوله تلاف ولا نعرف في كتب اللغة من ذكر التلاف مصدرا لتلف وانما يوردون في مصدره التلف بدون الف

ولم تقف سيئة الاكثار من البديع عند حد الشعر بل تعدى وباؤها الى النثر ايضا فطفق كثير من الكتاب يملأون رسائلهم بوجوه التحسين: الاستعارة والجناس ونحوها، واجتهدوا ان لا يفوتهم الشعراء بواحد منها حتى اذا ماتلقيت صحيفة من هذا القبيل والقيت فيها نظرك ليطوف عليها بالمطالعة ادركته عند كل فقرة حبسة والتوت امامه طرق فهمها وان كانت معاني مفرداتها جلية فتحس به كيف ينتقل من كلمة الى اخرى بخطوات ضيقة كأنما حمل على قيد من حديد، وأكثرهؤلاء يهملون النظر الى جانب المعنى والمحافظة عن اقامته واستيفائه وهذا مابعث الشيخ عبد القاهر الجرجاني حين قام ينادي بابسط عبارة ان الالفاظ خدم للمعاني وان المعاني مالكة سياسة الالفاظ ، وأقام الحجة في كتابيه دلائل الاعجاز واسرار البلاغة(*) على ان مزية الفصاحة انما استحقتها الالفاظ ووصفت بها من جهة معانيها وازال كل شبهة عرضت لمن اعتقد انها مزية استحقها اللفظ بنفسه

وادرك غالب المحررين اليوم ان تتبع هذه الحسنات ومواصلة العمل بها في نظم الكلام يبدلها سيئات تشمئز منها قلوب الذين يستمعون القول فيتبعون

(*) يباع كل واحد منهما بعشرين قرشا صحيحا بادارة المنار واجرة البريد ثلاثة

احسنه بيانا فاقلعوا عن الاكثار منها لاسيما في خطابات الجمهور وزهدوا فيها الاما سمح به الخاطر عفوا ورمته الطبيعة بدون كلفة ظاهرة

وكانت اللغة في خلال الاعصر الماضية تعلو وتضعف وتنتشر في انحاء المعمورة على حسب كرم الدولة وعناية رجالها بالفنون الادبية فارتفع ذكرها حين كان الامير سيف الدولة يباحث ابا علي الفارسي في غوامض علم النحو وينقد شعر ابي الطيب المتنبي بذوق لطيف ويجازيه وغيره من الشعراء بغير حساب

وارتقى شأنها يوم قام القاضي منذر بن سعيد في مجلس الملك الناصر لدين الله عند احتفاله برسول ملك الروم في قصر قرطبة وشرع يخطب من حيث وقف ابو علي البغدادي واقطع به القول فوصل منذر افتتاح ابي علي بكلام عجيب واطال النفس في خطبة مرتجلة تخرج الناس يتحدثون بديهته المعجزة وارتواء لسانه من اللغة الفصحى ولامرية في ان كرم الدولة باعث على ارتقاء حال اللغة عند من التفت الى التأريخ واقام الوزن بين الشعراء الناشئين في زمن اجواد العرب وملوك آل جفنة وملوك لخم كزهير والنابغة وبين من تقدمهم من الشعراء

باب الانتقاد على المنار

﴿ السائل والمسئول — كلمة مولى ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

الى حضرة الشيخ المكرم ناصر السنة وقامع البدعة العالم العامل السيد محمد رشيد رضا المحترم ادام الله بقاءه آمين

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فقد قرأت في المنار الأغر لازالت راياته منشورة ، وآياته ظاهرة منصورة ، في (ص ٨١٤ جزء ١١ من المجلد ١٢) سؤالا ورد

من محمد علي افندي من موظفي كرك يافا ذكر فيه انه قد اطلع على كتاب يدعى صيانة الانسان عن وساوس ابن دحلان قال فرأيته فسر كلمة مولى بما معناه : ان كلمة مولى مشتقة من اسم الجلالة فلا يجوز والحالة هذه اطلاقها على بني الانسان كأن يقال مثلا مولانا فلان فكل انسان قالها لانسان غيره يشرك بالله. الى آخر السؤال فاجبتم على هذا السؤال بقولكم: الجواب قد غلا صاحب ذلك الكتاب في قوله الذي نقلتموه غلوا كبيرا وأخطأ خطأ ظاهرا الى آخر الجواب ، وحيث ان الداعي لتحريري هذا هو التنبيه لا طلب التخطئة فأرجوكم ان تسمحوا لي من حيث اني أنبه على غلط السؤال والجواب ليتبين وجه الصواب ، فأقول:

من الواجب ان يتنبه المسئول لمورد السؤال فلا يعتمد نقل السائل اذا كان يعزو الى كتاب معين سواء كان حكى اللفظ او المعنى كهذا السائل الذي لايفهم منها شيئا ان لم يكن عنده سوء قصد فحيث ان موضوع الكتاب المسمى بصيانة الانسان رد على ما افتراه دحلان على الشيخ محمد بن عبد الوهاب من الكذب والبهت في رسالته التي سماها بالدرر السنية في الرد على الوهابية فقد اقام الله تعالى لرد باطله ذلك العالم الجليل صاحب صيانة الانسان الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن السندي حتى زيف مالفقه من الزور والبهتان وابدى عوراته لكل انسان فجزاه الله عن نصرة الحق واهله خير الجزاء وهذا ما قاله دحلان مما وقع في صفحة ٥١١ من الكتاب المذكور «ويزعم ان من قال لاحدنا مولانا وسيدنا فهوكافر الى آخر ماهذى به » فهذا جواب صاحب صيانة الانسان نقله بالحرف الواحد قال في صفحة ٥١٣

« واما مسألة قولنا لأحدنا مولانا وسيدنا فنذكر ماورد في الباب ، منها ما اخرجه مسلم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لايقولن احدكم عبدي فكلكم عبيد الله ولكن ليقل فتاي ولا يقول العبد ربي ولكن ليقل سيدي ـ وفي رواية له ـ ولا يقل العبد لسيده مولاي ٠ وزاد في حديث ابي معاوية : فان مولاكم الله عز وجل ـ وفي رواية له ـ ولا يقل احدكم ربي وليقل سيدي ومولاي ولا يقل احدكم عبدي أمتي وليقل فتاي فتاتي غلامي ٠ واخرج هذا الحديث ابو داود ايضا وأخرج ابو داود عن مطرف قال قال ابي انطلقت

في وفد بني عامر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا انت سيدنا فقال : السيد الله . قلنا وأفضلنا فضلا واعظمنا طولا قال : قولوا بقولكم او ببعض قولكم ولا يستجرينكم الشيطان . واخرج ابو داود عن عبد الله بن بريدة عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لاتقولوا للمنافق سيد فانه ان يك سيدا فقد اسخطتم ربكم عز وجل . » انتهى

فقد علم من تلك الاحاديث ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن اطلاق لفظ السيد والمولى على احدنا ورخص فيهما أيضا ووجه التوفيق بأن للسيد والمولى معاني فالنهي باعتبار بعض المعاني والرخصة باعتبار البعض الآخر ، قال في النهاية في مادة السود : السيد يطلق على الرب والمالك والشريف والفاضل والكريم والحليم ومتحمل اذى قومه والزوج والرئيس والمقدم . انتهى وقال في مادة الولي : وهو اسم يقع على جماعة كثيرة فهو الرب والمالك والسيد والمنعم والمعتق والناصر والمحب والتابع والجار وابن العم والحليف والعقيد والصهر والعبد والمعتق والمنعم عليه . انتهى

فالنهي عن اطلاق لفظ السيد والمولى على غيرالله محمول على السيد والمولى بمعنى الرب ، والرخصة محمولة عليهما بمعنى آخر من سائر المعاني فان ثبت ان الشيخ قد منع من إطلاق لفظ السيد والمولى على غيرالله فمراده السيد والمولى بمعنى الرب ، واما بالمعنى الآخر فكيف يتصور ان يمنع الشيخ منه فانه عقد بابا في كتاب التوحيد بهذا العنوان باب (لايقول عبدي وأمتي) واورد فيه حديث ابي هريرة المروي في مسلم الذي تقدم ذكره آنفا وفيه هذا اللفظ : وليقل سيدي ومولاي . فهذا اللفظ صريح في جواز اطلاق لفظ السيد والمولى على غير الله بالمعنى الآخر ، انتهى المقصود منه .

وله تتمة ساق المصنف فيها احاديث كثيرة في جواز اطلاق السيد والمولى على غير الله بمعنى غير الرب يطول ذكرها قال في آخرها : فعلم من هنا ان اطلاق السيد والمولى بمعنى غير الرب على الانبياء والصديقين والشهداء والصالحين لا وجه للمنع منه ، فانظر حفظك الله من أين فهم السائل ان صاحب الكتاب فسر كلمة مولى بأنها مشتقة من اسم الجلالة الى آخر ماذكره حينئذ تعلم ان السؤال والجواب ، قد حادا عن

طريق الصواب، وختام كتابي تقديم ازكى سلامي ولائق احترامي ودمتم محروسين

دمشق الشام كاتبه

فوزان بن سابق

(المنار) لا نسلم للكاتب قوله انه يجب على المسئول ان لايعتمد على نقل السائل فكلام الناس ونقلهم يحمل على الصدق مالم يتبين كذبه اويدل عليه شيء واذا كان الجواب مبنيا على السؤال وكان حقا على تقدير كون السؤال في محله فلا لوم على المجيب اذا كان السؤال غير منطبق على الواقعة. وكان النبي (ص) يجيب بل يحكم للناس بحسب الظواهر كما هو معلوم

آثار علمية أدبية

الى الامة العربية

هو الليل يغري بي الاسى فيطول ويرخي وما غير الهموم سدول
أبيت به لا الغاربات طوالع عليَّ ولا للطالعات أفول
وينشر فيه الصمت لبدا مضاعفاً فتطويه مني رنة وعويل
ولي فيه دمع يلذع الخد حره وحزن كما امتدَّ الظلام طويل
بكيت على كل ابن اروع ماجد له نسب في الاكرمين جليل
يليح من الضيم المذل بغرة لها البدر ترب والنجوم قبيل
من العرب اما عرضه فموفر مصون واما جسمه فهزيل
له سلف عزّوا فبزّوا نباهة ولم تعتورهم فترة وخمول
وساروا بنهج المكرمات تقلهم قلائص من سعي لهم وخيول
وكانوا اذا ما أظلم الدهر اشرقت به غرر من مجدهم وحجول

أولئك قوم قدذوى روض مجدهم　　فلم تسر فيه نسمة وقبول
وقد أعطشته السحب حتى لقدعلت　　على الزهر منه صفرة وذبول
رعى الله من أهل الفصاحة معشرا　　لهم كان فوق الفرقدين مقيل
ترامى بهم ريب الزمان كأنما　　له عندهم دون الانام ذحول
فامست من العمران خلوا بلادهم　　فهنَّ حزون قفرة وسهول
وعادت مغاني العلم فيها دوارسا　　تجرّ بها للرامسات ذيول
وقوّضت الايام بنيان مجدها　　فربع المعالي بينهن محول

* * *

نظرت الى عرض البلاد وطولها　　فما راق لي عرض هناك وطول
ولم تبد لي فيها معاهد عزها　　ولكن رسوم رثة وطلول
نظرت اليها من خلال ذوارف　　من الدمع طرفي بينهن كليل
فكنت كراءٍ من وراء زجاجة　　بعينيه كيما يستبين ضئيل
ولم اتبين ماهنالك من على　　لكثرة ماقد دب فيه نحول
هناك حنيت الظهر كالقوس رابطا　　بكفي على قلب يكاد يزول
واوسعت صدري للكآبة فاغتدت　　بارجائه تحت الضلوع تجول
وارسلت دمع العين فانهلّ جاريا　　له بين اطلال الديار مسيل
أأمنع عيني أن تجود بدمعها　　على وطني؟ اني اذًا لبخيل!
فان تعجبوا أن سال دمعي لأجله　　فان دمي من اجله سيسيل!
وما عشت اني قد تناسيت عهده　　ولكن صبري في الخطوب جميل
وان امرأ قد اثقل الهمُّ قلبه　　كقلبي ولم يلق الردى لحمول
أفي الحق ان انسى بلادي سلوة　　ومالي عنها في البلاد بديل
أقول لقومي قول حيران جازع　　تهيج به اشجانه فيقول:
متى ينجلي ياقوم صبح ظلامكم　　وتذهب عنكم غفلة وذهول
وينطق بالمجد المؤثل سعيكم　　فيسكت عنكم لائم وعذول؟
تريدون للعليا سبيلا وهل لكم　　اليها وانتم جاهلون سبيل!

اناشدكم ابن المدارس انها على الكون فيكم والحياة دليل؟
وابن الغنيُّ المرتجى في بلادكم يجود على تشييدها ويطول!
بلاد بها جهل وفقر كلاهما اكول شروب للحياة قتول
اجل انكم انتم كثير عديدكم ولكن كثير الجاهلين قليل
ولو ان فيكم وحدة عصبية لمان عليكم للمرام وصول
ولكن اذا مستنهض قام بينكم تلقاه منكم بالعناد جهول!
واي فريق قام للحق صده فريق طلوب للمحال خذول!
وان كان فيكم مصلحون فواحد فضول والف في مداه قؤول!
على ان لي فيكم رجاء وانأ كن الى اليأس احيانا اكاد أميل
ألستم من القوم الاولى كان علمهم به كل جهل في الانام قتيل
لهم همم ليس الظباة تفلها وان كان منها في الظباة فلول
الا نهضة علمية عربية فتنعش ارواح بها وعقول
ويشجع رعديد ويعتز صاغر وينشط للسعي الحثيث كسول
فان لم تتم بعد الاناة عزائم فعتبي عليكم والملام فضول!

معروف الرصافي

رعاية الاطفال

شبحا أرى أم ذاك طيف خيال؟ لا! بل فتاة بالعراء حيالي
أمست بمدرجة الخطوب فما لها راع هناك وما لها من وال
حسرى تكاد تعيد فحمة ليلها ناراً بأنات زكين طوال
ما خطبها عجبا وما خطبي بها مالي أشاطرها الوجيعة مالي!
دانيتها ولصوتها في مسمعي وقع النبال عطفن اثر نبال
وسألتها: من أنت؟ وهي كأنها رسم على طلل من الاطلال!

فتململت جزعا وقالت: حامل — لم تدر طعم الغمض منذ ليال
قد مات والدها وماتت أمها — ومضى الحمام بعمها والخال،
والى هنا حبس الحياء لسانها — وجرى البكاء بدمعها المطال
فعلمت ما تخفي الفتاة وانما — يحنو على أمثالها أمثالي
ووقفت أنظرها كأني عابد — في هيكل يرنو الى تمثال
ورأيت آيات الجمال تكفلت — بزوالهن فوادح الاثقال
لا شيء افعل في النفوس كقامة — هيفاء روّعها الأسى بهزال
أو غادة كانت تريك اذا بدت — شمس النهار فأصبحت كالآل
قلت انهضي، قالت اينهض ميت — من قبره ويسير شنّ بالي؟
فحملت هيكل عظمها وكأنني — حملت حين حملت عود خلال!
وطفقت أنتهب الخطى متيما — بالليل دار رعاية الاطفال
أمشي واحمل بائسين فطارق — باب الحياة ومؤذن بزوال
أبكيهما وكأنما أنا ثالث — لهما من الاشفاق والاعوال
وطرقت باب الدار لا متهيبا — أحدا ولا مترقبا لسؤال
طرق المسافر آب من اسفاره — أو طرق رب الدار غير مبال
واذا بأصوات تصيح: ألاافتحوا — دقات مرضى مدلجين عجال
واذا بأيد طاهرات عودت — صنع الجميل تطوعت في الحال
جاءت يسابق في المبرة بعضها — بعضا لوجه الله لا للمال
فتناولت بالرفق ما أنا حامل — كالأم تكلأ طفلها وتوالي
واذا الطبيب مشمر واذا بها — فوق الوسائد في مكان عال
جاؤا بانواع الدواء وطوّفوا — سرير ضيفهم كبعض الآل
وجثا الطبيب يجس نبضا خافتا — ويرود مكمن دائها القتال
لم يدر حين دنا ليبلو قلبها — دقات قلب أم دبيب نمال
ودعتها وتركتها في أهلها — وخرجت منشرحا رخيّ البال

وعجزت عن شكر الذين تجردوا | للباقيات وصالح الاعمال
لم يخجلوها بالسؤال عن اسمها | تلك المروءة والشعور العالي
خير الصنائع في الأنام صنيعة | تنبو بحاملها عن الاذلال
واذا النوال أتى ولم يهرق له | ماء الوجوه فذاك خير نوال
من جاد من بعد السؤال فانه | وهو الجواد يعدُّ في البخال

***

لله درهم فكم من بائس | جم الوجيعة سيئ الاحوال
ترمي به الدنيا فمن جوع الى | عري الى سقم الى اقلال
عين مسهدة وقلب واجف | نفس مروعة وجيب خال
لم يدر ناظره اعريانا يرى | ام كاسيا في تلكم الاسمال
فكأن ناحل جسمه في ثوبه | خاف الخروق يطل من غربال !
يابرد فاحمل قد ظفرت باعزل | ياحر تلك فريسة المغتال !
ياعين سحي ياقلوب تفطري | يانفس رقي يامروءة والي
لولاهمُ لقضى عليه شقاؤه | وخلا المجال لخاطف الآجال
لولاهمُ كان الردى وقفا على | نفس الفقير ثقيلة الاحمال
لله در الساهرين على الأُلى | سهروا من الاوجاع والاوجال
القائمين بخير ما جاءت به | مدنية الاديان والاجيال
اهل اليتيم وكهفه وحماته | وربيع أهل البؤس والامحال

***

لا تهملوا في الصالحات فانكم | لا تجهلون عواقب الاهمال
إني أرى فقراءكم في حاجة | ـ لو تعلمون ـ لقائل فعال
فتسابقوا الخيرات فهي امامكم | ميدان سبق للجواد النال
والمحسنون لهم على احسانهم | يوم الاثابة عشرة الامثال
وجزاء رب المحسنين يجل عن | عد وعن وزن وعن مكيال

محمد حافظ ابراهيم

باب الاخبار والآراء

﴿ العرب والترك ﴾

قد علم قراء المنار ان السعي في حسن التفاهم بين العرب والترك قد كان أحد المقصدين الجليلين من رحلتنا الى دار السلطنة في آخر الخريف حيث يعود المصريون منها ومن سائر البلاد التي يصطافون فيها لقضاء فصل الشتاء بمصر التي لا يفضل شتاءها شتاء ، وعلموا أيضا انه كان من السعي زيارتنا لصاحب جريدة (إقدام) ومعاتبته على ما كتب في شأن العرب وعرض مقالات عليه في حسن التفاهم بين العنصرين اللذين هما قوام الدولة العثمانية ووعده بنشرها ولكن اكثرهم لا يعلمون أن صاحب إقدام نشر ثلاثا من تلك المقالات وامتنع عن نشر ثلاث: نشر المقدمات وامتنع عن نشر المقصد الذي فيه بيان أسباب سوء التفاهم وطرق تداركها وتلافيها ومنها مسألة تقبيح اللغة التركية وحذف الالفاظ العربية منها وما سمع عن جريدة إقدام من سوء التعبير فيها . قال في بيان سبب امتناعه عن نشر المقالة الرابعة إن هذه أمور ملية تتعلق بنا (أي بالترك) فليس له حق في البحث فيها !!

وقد استمر على نغماته الجنسية بقلمه وقلم اعوانه حتى نشر مقالة من مقالات عن اليمن بامضاء (خليل حامد) وهو امضاء مستعار لأحد الضباط هنا وقد جاء في هذه المقالة من الطعن في العرب أنهم ــ في زعم الكاتب ــ بمقتضى طبيعتهم يبيعون بالمال كل شيء حتى أعراضهم !! .. وقد قامت لهذه العبارة قيامة العرب الذين هنا حتى ان بعض الشبان استفزتهم حمية الغيرة على العرض التي لا يداني العرب فيها شعب من شعوب الارض فدفعتهم عند قراءة هذه العبارة والدم العربي يفيض في أجسامهم الى إدارة جريدة إقدام وإهانة صاحبها وتحقيره على نشر هذه السفاهة حتى قيل انهم بصقوا في وجهه ولاعجب فصاحب الغيرة على العرض قد يقتل من يطعن في عرضه عند مايفاجئه ذلك

والقوانين تعذر من تدفعه الحدة العارضة للدفاع عن عرضه اذا أطاعها من فوره ولا يعد هذا الدفاع منكرا قبيحا كسائر أنواع الاهانات الا من لم يعرف للغيرة على العرض معنى

نحن لانقول ان الاعتداء أو الافتيات على الحكومة في القصاص أمر حسن مشروع وانما نقول و يقول العقلاء كافة ان فرقا عظيما بين اعتداء مبتدأ لايدفع له الطبع و بين مؤاخذة فورية لم توطن عليها النفس

وكيف يستنكر من فتيان العرب مثل هذه الغيرة التي لا رأي لهم فيها ولا روية وقد اضطربت لهذا الطعن اعصاب الكهول والشيوخ من المؤمنين كغيرهم حتى أن بعضهم اصابه الصداع ولم يستطع في ذلك المساء تناول الطعام وذهب وفد منهم الى الصدر الاعظم وكان في مجلس الوكلاء فأرسلوا اليه فخرج اليهم ووعدهم هو وناظر العدلية بتدارك الأمر وإحالة أحمد جودت بك مدير إقدام على ديوان الحرب العرفي لتعطيل جريدته ثم محاكمته في العدلية وقد حكم الديوان بتعطيل جريدة إقدام الى أجل غير مسمى ولكنه لم يلبث أن أصدرها وكتب فوق كلمة اسمها كلمة (يكي) اي جديدة او الجديدة ، وناهيك بهذا من عقوبة !! وحكم عليه أيضا بمئة ليرة غرامة غرمها . وقد علم ديوان الحرب ان الناس صاروا يسخرون من تعطيل الجرائد لأن من عطلت جريدته صار يصدرها باضافة لفظ (يكي) اليها فقرر أنه لايجوز لمن يحكم هو بالغاء جريدته ان يصدر جريدة ما الاباذن منه ولكن هذا القرار لم ينفذ على جريدة إقدام !

وقد كتب احمد بك جودت مدير إقدام عند ماعطلت جريدته مقالة نشرها في جريدة (طنين)اعتذر فيها عن نفسه ولكن كان عذرا أقبح من ذنب فانه نفث فيها سموم التغاير والتدابر بين العرب والترك بايهامه القارئين لها ان العرب يتهمونه بأنه مندفع لعداوة العرب بجنسيته التركية ويرون أن الترك اعداء العرب وانتقل من هذه الدسيسة الى الامتنان على العرب بفضل الترك عليهم وذكر من هذا الفضل مايعلم هوانه في غير محله فالظاهر انه يريد بذلك ان يقوم كتاب العرب للرد عليه و إنكار ماقاله مخالفا للتأريخ ليتسنى له ولامثاله حينئذ ان يوسعوا الخرق ويقولوا ان

العرب يحتقرون الترك . ونحن لم نسمع أحدا من العرب يقول ان مدير إقدام يذم العرب باغراء الترك أو رضاهم

ادعى صاحب (إقدام) في مقالته هذه ان جريدته هذه ليست جريدة عنصرية ولا ترجح الترك على غيرهم من العثمانيين وان جميع الاجناس يعترفون له بذلك . والمشهور خلاف ذلك وانه ماوجدت جريدة تركية أساءت الى العرب أو أغضبتهم كا أغضبتهم جريدة إقدام فهي أشهر الجرائد في التعصب الجنسي ولاجل هذا التعصب لم تنشر مقالاتنا التي طالبنا فيها بانصاف العرب وحسن التفاهم بينهم و بين إخوانهم الترك والا فما هو عذره ولماذا أخلفنا وعده ؟

قال بعد تلك المقدمة التي مدح بها نفسه و برأها كما شاء « فاقول بأن التركية هي التي دفعت جريدة إقدام لكتابة تلك الفقرة هو اتهام الترك كلهم » فانظر الى هذه النتيجة الخاطئة من تلك المقدمات الباطلة ،

ثم قال « نعم ان الترك فدوا في اليمن وغيرها مئات الالوف من أولادهم فهذا الفداء ليس لأجل ان يفترقوا عن العرب بل بالعكس تقتضي محبة الاتحاد معهم !! والتاريخ يشهد لنا بأن الذي خلص جزيرة العرب من استعمار الاجانب لها في أيام الصليبيين انما هي دماء الترك وذلك خدمة للاسلام ، والعرب لا تنسى ذلك الى يوم القيامة !

« ونقدر أن نقول بعبارة عامة ان الترك بذلوا أرواحهم في سبيل العرب ! !

بناء على ذلك كيف يكون الترك خصماء العرب وسالكين سبيل الحاكية العنصرية؟ فهل هذه التهم هي مكافأة على الدماء التي أراقها الترك في سبيل العرب ؟؟ وهل بعد هذا يكون القول بأن صاحب إقدام عدو العرب موافقا للمنطق ؟ » اه

الترك أخوة العرب في الدين وفي تكوين هذه الدولة التي هي تراث الاسلام في الحكم والسلطان فاذا قلنا ان صاحب إقدام جنى على التأريخ بزعمه ان الترك انقذوا جزيرة العرب من الصليبيين لانكون بابطال الباطل ناكثين للفتل الذي جعلنا مع الترك أمة واحدة. وكل من يعرف التأريخ يعلم ان جزيرة العرب كانت

طول الزمان في امان من الافرنج وأما ماأخذوه من سواحل سورية فقد انقذه منهم المسلمون كافة لاالترك خاصة .

واذا قلنا ان سوء سياسة الدولة في سفك دماء العرب في اليمن لايعدمنة للترك على العرب لانكون مخلين بحقوق هذه الاخوة لا لأن الدماء التي سفكت هناك بأمر قواد الترك وحكامهم هي دماء العثمانيين من الترك والعرب والارناؤط والكرد بل لأن سفكها كان من جهل أولئك القواد بالسياسة وحسن الادارة وقد خربت بلاد العرب ولم تعمر بلاد الترك على ان البلاد كلها مشتركة لان الامة واحدة

كان من فضل الاسلام ان الترك بعد ان تشرفوا به لم يكونوا يعملون لأجل عنصرهم ولا لأجل عنصر العرب ، وإنما يعملون لأجله كما أخذوا عن اساتذتهم العرب حتى قام أمثال صاحب إقدام من متفرنجي هذا العصر يصخون الآذان كل يوم بما يثير العصبية الجنسية ويضعف الرابطة الاسلامية وهم يجنون على دولتهم من حيث يدرون أو من حيث لا يدرون ويخشي ان يعلموا سائر العناصر العصبية الجنسية وقد ظهرت بوادر ذلك وهو اكبر خطر على هذه الدولة فنسأل الله تعالى ان ينقذها من شرور هؤلاء الاشرار بمنه وكرمه

ثم ان صاحب إقدام اورد بعد بيان هـذه المنن التي في رقاب العرب للترك موازنة بين مانشره عن ذهول (كما ادعى) من الطعن في أعراض العرب ماضيهم وحاضرهم وآتيهم وبين إهانة بعض طلاب العرب له في ادارة جريدته وزعـمه انهم اهانوا عند ذلك الامة التركية كلها اهانة لم يسمع بأن ملة من الملل اهينت بمثلها ولم يقع من عنصر من العناصر العثمانية اهانة لعنصر آخر بمثل ذلك ! ! وكبر هذه الدعوى وهوَّل فيهـا ماشاء واشار بالنقط هكذا ٠٠٠٠٠ الى ان ما طواه من ذلك وأغضي عنه هو فوق ما قاله تصريحا وتلويحا . ولو كان يحب الاتحاد والاتفاق بين العنصرين كما ادعى في هذه المقالة لما نشر خبر هذه الاهانة المزعومة بين الترك في جريدة هي أوسع من جريدته انتشارا ، لان ذلك يوغر صدور من يصدقون هذه الدعوى من الترك فتنفرج مسافة الخلف. فمقالته هذه شر من مقالة (خليل حامد) وأضر ، وأدهي وأمر ، ولا يظهر لنا علة لنشرهذه الدعوى والتهويل بها غير تعمد القاء الشقاق

بين الاختين الشقيقتين : الترك والعرب . فان ادعى انه يريد بذلك تربية المعتدين عليه يقال له كان يكفي في ذلك ان تذكر ماوقع للمحكمة العرفية او العدلية من غير ان تنفث في جريدة طنين سموم التفرق والخلاف ، وما انت بالمقصر في الشكوى وتعقيب الدعوى

ثم انه بعد إثارة هذه الفتن ، وايقاد نار الشقاق والاحن ، أخذ يسخر من العرب بطريقة اخرى غير الامتنان عليهم بمذابح اليمن وتخريبها في عصور الاستبداد التي يرجوان يبدلنا الله تعالى بها عصر العمران والنور في ظل الدستور تلك الطريقة هي استدلاله على اخلاصه وحبه إرضاء العرب بدليلين هما من أغرب ضروب الاستدلال التي لم يبين مثلها في باب السفسطة من علم المنطق (أحدهما) انه قال لناظر الداخلية عند مابلغه خبر تعطيل جريدة «إقدام» ان عنده رخصة باسم « يكي اقدام » ولكنه لايصدرها لأجل ان يرضى العرب وتطمئن نفوسهم لحسن نيته . قال لأن تعطيل الجريدة لايقصد به ورقة مخصوصة او اسم مخصوص وانما الغرض منه إبطال هذه الادارة او تخريبها وأنا أتحمل هذه الخسارة لأجل ان تطمئن قلوب العرب وترضى خواطرهم !! ـ وذكر ان ناظر الداخلية قد أعجب بهذه الاريحية وسرّ وشكر وانه يظن ان سائر الوكلاء مثله في ذلك

لو صدق في قوله لناظر الداخلية ولم يصدر جريدته باسم « يكي إقدام » لما شك أحد من العرب في صدقه بما ذكر من السبب، وهو ابتغاء رضاهم واستمالتهم ولكنه قال هذا القول ولم يلبث ان خالفه وأصدر الجريدة فظهر انه قال ذلك ليسخر من العرب وينبه الغافل منهم الى ان حكم ديوان الحرب بابطال جريدته لم يكن عقوبة ولا خسارة وانما كان عبارة عن زيادة كلمة (يكي) في الجريدة !!!

وأما الدليل الثاني فهو انه كان عزم على اصدار جريدة عربية واستحضر أشهر شعراء العرب وأ كبرهم من بغداد لأجل تحريرها وكلمه كلاما حسنا ثم لم يصدرها. وهذا الدليل أغرب من الدليل الاول وان كان يشابهه ويقابله في كون كل منها عبارة عن وعد وعَد به وأخلف وقول قاله ولم يصدق فيه. ويختلفان على تقدير الصدق في القولين والوفاء بالوعدين اذلو وفّى بالاول لكان دليلا على حبه الترضية كما قال وان لم يكن دليلا على التأليف بين العنصرين . ولو وفّى بالثاني لما كان مجرد الوفاء

به دليلا على حب العرب ولا على التأليف بينهم و بين إخوانهم الترك بل كان يجوز ان تكون جريدته العربية أشد تنفيرا للعرب من جريدته التركية فالعرب يعتقدون الآن بأن جريدته متعصبة هاضمة لحقوقهم مهينة لهم ويقل من يراها منهم أو يعلم بما ينشر فيها فلو نشر جريدة عربية وقال فيها انه يجب على الترك تطهير لسانهم من الالفاظ العربية ؛ أو نشر فيها تلك المقالات عن السنوسية ؛ أو مقالات (خليل حامد) أو غير ذلك مما ينشر أحيانا في إقدام من العبارات التي ترمي الى العصبية الجنسية، لما كانت الا شر آلات التحليل لهذا الجسم الواحد الذي يحيا بروح واحد وإن كان مركبا من عنصرين يسمى احدهما العرب والآخر الترك

لما ظهرت في العام الماضي أسباب سوء التفاهم بين العرب والترك كان من أقواها ماينشر في جريدة إقدام واشتهر ذلك في سورية ومصر ولكنني على سماعي هذا من الكثيرين لم أكن أسيء الظن بصاحب « إقدام » ولذلك سعيت اليه وأحببت ان انشر في جريدته ماأريد ان أكتبه من المقالات لازالة سوء التفاهم وتأكيد الوفاق والاتحاد بين العنصرين ولكنه أخلف فيما وعدني به من كل ما اكتبه كما تقدم فساء ظني فيه وأكد سوء الظن مقالته التي نشرها في طنين وما فيها من موقظات الفتنة التي أشرنا اليها

كدنا ننجح في سعينا ونزيل تلك الاسباب التي احدثت سوء التفاهم بما كتبناه من المقالات هنا وفي المنار ومن المكتوبات الخاصة للادباء والفضلاء في البلاد العربية فجاءت هذه الحادثة المشئومة فاعادت المسألة جذعة وكان صاحب إقدام عذيقها المرجب وجذيلها المحكك ولم تنته شرورها الى الآن فديوان الحرب العرفي لايزال يطلب الافراد والثبات من طلاب العرب ورجالاتهم للتحقيق في مسألة اهانة صاحب إقدام لأنه البسها ثوب التعصب الجنسي

ان المقالة الاخيرة المتضمنة للطعن في اعراض العرب قد طير البرق خبرها الى المدن العربية الكبرى وخاضت فيها الجرائد وكان لها من سوء التأثير فوق ما يظن أولياء الامور هنا فاذا كانت نتيجتها هنا ان يعاقب كثير من الطلاب بالحبس

اوغير الحبس او يتوسل بها الى اقفال « المنتدى الادبي » الذي يجتمع فيه جمهور اولئك الطلاب للمدارسة والمذاكرة وتعلم اللغات القومية والأجنبية ليمنعوا من أسباب الترقي كما يظن المتطيرون من الناس ويكتفى من معاقبة صاحب إقدام باضافة لفظ «يكي» الى جريدته فلا يعلم الا الله ماذا يكون لذلك من سوء التأثير عند الامة العربية وعند كل المخلصين لهذه الدولة

مع هذا كله أكرر في المنار وغير المنار وما قلته للعرب في هذه الديار انه لايجوز لنا بحال من الاحوال ان نجعل ذنب الافراد ذنباً للامة أو أن ننسى ان الشعب التركي الخالص المتدين يحب العرب حب عبادة وان العرب يحبونه حب الاخوة الخالصة . ويجب ان نتقي الانفعال من كلام بعض المتفرنجين الفاسقين أو الملحدين الذين يحركون العصبية الجنسية ليوقعوا الشقاق بين العنصرين فان حدث مايحرك الانفعال طبعا فيجب ان نتقي فيما نقول ونكتب كل مايبعد أحد العنصرين عن الآخر ونجعل انتقادنا على أشخاص المفسدين المفرقين فان التفرق والتعادي بين الترك والعرب يجلب الخطر عليهما معا وعلى الدولة وان جهل المتعصبون، وتجاهل المفسدون ،

* * *

﴿ اليمن ودماء العثمانيين المهدورة فيه ﴾

اننا بعد أن كتبنا تلك العجالة في الرد على صاحب جريدة «إقدام» وتخطئته في التفرقة بين الترك والعرب وتوسله الى ذلك بالافتراء على التأريخ في مسألة الحرب الصليبية والمخاتلة في مسألة اليمن رأينا ان نرجع الى التأريخ فنقتبس منه قبسا يضيء سبيل الحق فيما أشرنا اليه هناك من كون الدماء التي سفكت في اليمن لم تكن دماء الترك وحدهم ولم يكن فيها شيء لمصلحة العرب لانها خربت بلادهم ولم تعمرها وبذرت بالغدر والظلم والتخريب واستمرت على ذلك الى اليوم، ولا لمصلحة الترك لأنهم لم يستفيدوا في مقابلة تلك الدماء التي سفكوها والاموال التي انفقوها من خزانة الدولة فائدة

مادية ولا معنوية كما نوّه بذلك مجلس المبعوثين في احدى جلسات الشهر الماضي اذ قال عبدالحميد افندي الزهراوي مبعوث حماه : لوعصرنا تراب اليمن لقطر دماء عثمانيا فماذا استفدنا من ذلك ؟ ؟

ويظن بعض الناس ان معظم هذه الدماء سفكت في عهد السلطان عبدالحميد الذي انتهى اليه الاستبداد في هذه الدولة وأقله في زمن السلطان عبد العزيز قبله. وقد ذكرت هذه المسألة هنا فقال بعض الناس انها بنت نصف قرن قلت بل هي بنت أربعة قرون ثم رجعت الى التأريخ فجئت منه بالشهيد الآتي

جاء في (كتاب البرق اليماني في الفتح العثماني) اي فتح اليمن لقطب الدين الحنفي المكي الذي قال في مقدمته انه خدم به سدة السلطان سليم بن السلطان سليمان . (وفي مكتبة كوبريلي زاده محمد باشا نسخة منه كتب في طرته بالذهب انها اهديت الى خزانة كتب الصدر الاعظم محمد باشا في عصره)

ان ابتداء التصدي لفتح اليمن كان في عهد السلطان سليمان (القانوني) فانه لما بلغ السلطان استيلاء الافرنج من البرتغال على بلاد الهند أمر باعداد اسطول في مصر وتجهيز عسكر فيه لحاربتهم وجعل قائد هذا العسكر بيكلاربكي مصر سليمان باشا الخادم وهو احد مماليك السلطان سليم خان بن بايزيد خان الذي « لم يتعلم من اخلاق سيده غير الفتك، ولم يستقر في باله مما شاهده منه غير اراقة الدماء والسفك» فاحتال قبل سفره بالاسطول على الامير جانم الحمزاوي الذي كان من اعظم الناصحين في خدمة السلطنة وأمر بذبحه فقطعت رقبته بسيفه وهو يقول لا الٓه الا الله محمد رسول الله ! ثم قطع رقبة ولده يوسف امير الحج وانما قتلهما بعد ان كتب الى السلطان بأنه شم من الامير رائحة العصيان ويخشى ان يطيعه العسكر لاحسانه اليهم فكتب اليه السلطان «ادفع شرهما» ونسي السلطان ان هذا الامير هو الذي كان سبب اصلاح المملكة عند عصيان أحمد باشا وانه لم يوافقه على العصيان . ثم أمر الباشا بسلخ الوالد والولد وحشوهما تبنا وتعليقهما على باب زويله !! (*

*) هو المعروف الآن ببوابة المتولي بمصر

(قال المؤلف) « ثم ان سليمان باشا بعد قتله لجانم الحمزاوي تملح ايضا بصلب الامير داود بن عمر أمير الصعيد من غير جرم أتاه ، ولا ذنب سواه ، غير كثرة أمواله ، و بذل يده وسعة حاله ، فطمع الباشا سليمان ، فطلبه الى الديوان ، فلما جاء أخذ هداياه أولا ، ثم عاتبه لقصد قتله معللا ، فقال ترسل الينا قمحا غير نظيف ؟ فقال أنا ماجئت الا بقمح مثل الجوهر اللطيف ، فأمر به الى باب زويله وعلق في عنقه منديلا فيه قليل قمح وصلبه هناك وأحاط بجميع أمواله وخزائنه، وظفر بكنوزه ودفائنه، وقتله وهو مظلوم ، وعند الله تجتمع الخصوم ، وكان احسن امراء الصعيد كثير البر والصدقات ، محبا للخيرات والحسنات ، يحسن كل عام الى كل واحد من علماء جامع الازهر ، والمشايخ المسلكين في ذلك القطر الازهر ، بالخمسمئة من الذهب فما دونها » الخ ماذكر من فضائله وفواضله

ثم سافر سليمان باشا الى جده ومنها الى عدن « وكان صاحبها يومئذ عامر بن داود بقية بني طاهر ملوك اليمن سابقا . . . فلما بلغه وصول سليمان باشا للغزو في سبيل الله ، وقطع جادرة الافرنج عن الاضرار بعباد الله ، فتح له باب عدن ، وأمر أن تزين ، وجمع له من البلاد ، ما أراد من الازواد ، وتوجه هو ووزيره السلام عليه الى الغراب (نوع من المراكب) الذي هو فيه فبمجرد ان رأى سليمان باشا باب عدن قد فتح أمر عسكره بدخول عدن وأخذها فلما وصل اليه عامر ألبسه ومن معه خلعا ثم أمر بصلبهم على الصاري في الغراب الذي هو فيه ونهب العسكر داره ثم شرعوا في نهب البلد » وعد البلد من فتوحاته وأقام فيها نائبا وكتب على بابها انه فتحها سنة ٩٤٥

ثم ذكر المؤلف وصول خبر غدر الباشا الى أهل الهند فنفر منه الناس وكانوا استعدوا لنصره وجمع العسكر له ثم كادوا له حتى رجع عنهم الى اليمن قال « وكان سليمان باشا خوّارا خوافا لم يعهد منه شجاعة ولا إقدام وإنما كان يفتك بمن وقع في يده مأسورا مربوطا، فركبه من ذلك (أي مما بلغوه اياه كيدا له وإيهاما وليس هذا محل شرحه) خوف عظيم وتفرقت عساكره وصاروا يخدمون خوانين الهند طمعا في كثرة العلوفة »

ثم ذكر خبر وصوله بمن بقي معه من العساكر الى « مخا » وغدره بصاحب اليمن قال « وأرسل الى الناخود احمد بخلعة ومرسوم فيه الامان وأن يكون نائبا عن السلطنة بمملكة اليمن كما كان وان يصل بنفسه يدوس البساط ، ويحصل له كال الشرف والانبساط ، فلما وصل اليه المرسوم استشار أخصاءه فكلهم أشار عليه بعدم المواجهة وقالوا له انه لم يكن عنده شيء من الخيل ونحن عندنا سبع مئة حصان فان قاتلنا قاتلناه ، وان رضي منا بالاطاعة أطعناه ، فلم يستصوب هذا الرأي وركب اليه لملاقاته هو وخاصة عبيده وكانوا نحو الخمس مئة ووصل اليه طائعا لا بساخطته هو وولده وولد اسكندر رموز وهما صبيان دون المراهقة وقدم اليه من هدايا اليمن ماقدر عليه. فلما دخل عليه أمر بقتله في الحال وذلك في ثامن شوال سنة خمس وأربعين وتسعمئة. فتشتت عبيده فنادى فيهم مناد من أراد من العبيد السود العلوفة السلطانية عند الوزير فليأت ! فاجتمعوا بأسرهم ودخل معهم من ليس منهم طمعا في العلوفة وأدخلوا حوشا كبيرا له باب واحد وصاروا يخرجونهم اثنين اثنين ويكتب اسمهما الكاتب بحضوره ويبرز بهما الى خارج الباب فيرمي رقابهما ولم يشعر بهما أحد منهم ممن داخل الحوش ولم يعلموا مايفعل بهما عند الباب الى أن قتل الجميع !! »

ثم ذكر عوده وحجه وما فعل في الحرم من الالحاد والظلم والنهب والسلب من أهل عرفات الحجاج ومن أميري الحج الشامي والمصري ثم عودته الى مصر وافتخاره امام الوزير لطفي باشا زوج أخت السلطان سليمان بفتوحاته لعدن واليمن وانتصاره ولا ندري على اي الاعداء انتصر وما كان صاحبا عدن واليمن الا فرحين به مستأمنين له من غير ضعف ولا خوف . ثم قال المؤلف رحمه الله مانصه وهو الحكمة البالغة والعبرة المؤثرة :

« ولو نظروا في حقيقة الحال ، وتدبروا ماسيؤول اليه في المآل ، علموا انهم كانوا في غنى عن هذا العنا ، وتيقنوا أنه جرَّ اليهم محنا وإحنا ، ولقد سمعت المرحوم محمد جلبي المقتول دفتر دار مصر يفاوض المرحوم داود باشا في حدود سنة ثلاث وخمسين وتسعمئة فقال : مارأينا مسبكاً مثل اليمن لعسكرنا كلما جهزنا اليه عسكرا ذاب ذوبان الملح ولا يعود منهم الا الفرد النادر ولقد راجعنا الدفاتر في ديوان مصر

من زمن ابراهيم باشا الى الآن فرأينا قد جهز من مصر الى اليمن في هذه المدة ثمانون ألفاً من العسكر لم يبق منهم في اليمن ما يكمل سبعة آلاف نفر» اه كلامه

(قال المؤلف) قلت وقد تجهز بعد ذلك الى هذا الزمان أضعاف ما ذكره محمد بك رحمه الله تعالى وهلمَّ جرا الى آخر الزمان . وهذا سر إلهي لا يعلم حقيقته الا الله تعالى . والذي يلوح للخاطر أن سبب نقصان بركتهم ، وتقهقر عددهم ، ما يرتكبونه من ظلم العباد ، وما يتصاعد من المظلومين من الأدعية التي تصدر عن قلوب منكسرة ليس لها ناصر الا الله تعالى ، والله سبحانه يلهم حكامنا وامراءنا العدل والانصاف ، ويعدل بهم عن الجور والاعتساف ، انه مجيب الدعوات ، ومقيل العثرات ، اه

(المنار) إن أعجب ما في هذه النبذة التي اقتبسناها من هذا التأريخ قوله « وهلم جرا الى آخر الزمان » فلله درّ المؤرخين إن أشعة بصائرهم لتخترق حجب القرون ، فتبصر ما وراءها وتخبر بمضمرات الغيوب ، فقد صدقت حوادث هذه القرون الاربعة قول الرجل وما أراه الا كان يعتقد بعلة خفية لهذا الخذلان في تلك البقعة لهذه الدولة التي كانت في تلك الايام أقوى دول الارض ولعلها هي ما أشار اليه في مقدمة الكتاب من الاحاديث الصحيحة الواردة في اليمن الناطقة بأن الايمان يماني والحكمة يمانية وأن نفس الرحمن يأتي من جهة اليمن على ان الرجل كان متعصبا للدولة على الزيدية مفتخرا بما كان يحصل لها من الانتصار ، متألما مما كان يحدث لها من الانكسار ، ذاما للزيدية مشنعا عليهم بالبدعة ، مادحا للدولة وعسكرها بنصر السنة ، ولم تكن عنده نعرة جنسية عربية فان الاسلام نزع من قلوب العرب هذه العصبية الجاهلية فلم تعد اليهم حتى اليوم بل نرى المؤلف يذم عرب اليمن احيانا مع التعبير عنهم بالعرب، ويمدح الترك معبرا عنهم بالترك ، ويبتهج بنصرهم ويدعو لهم وهذا شأن العرب الى اليوم في كل البلاد يفرحون بنصر الدولة على عرب اليمن وان ظلمت هنالك العباد ، وخربت البلاد ، حتى انهم كانوا يقولون في السلطان عبد الحميد

لا أزال الإله دولته الغرَّا (م) وان كان قد طغى وتجبر

وقد قرأنا في جريدة الاصلاح التي تصدر في سنغافوره كتابة من عهد قريب لبعض عرب حضرموت يتمنون فيها ان تعجل الدولة باحتلال بلادهم والاستيلاء عليها . ولكن متعصبي فروق امثال صاحب جريدة إقدام مجدون في التفريق فهم الذين يعيـدون بأقوالهم وأفعالهم الى العرب عصبية الجنس الا اذا تدارك رجال السياسة هذا عاجلا كما نصحنا لهم أمس حين جئنا العاصمة ، ولما يستبينوا النصح في ضحى الغد

اتقوا الله ياساسة الدولة وانزعواهذا الوسواس من صدوركم، اتقوا الله واصلحوا ذات بينكم ، اتقوا الله فانكم تقولون اننا في حاجة الى المساواة والاتحاد مع جميع العناصر العثمانية ، وكيف يكون الاتحاد اذا لم يكن قبل كل شيء بين العرب والترك؟ اتقوا فنحن في أشد الحاجة الى الاعتصام بالاخوة الاسلامية مع جميع المسلمين والاخوة العثمانية مع جميع العثمانيين ، فلا يهدمنَّ السفهاء مايبنيه الحكماء ، فان الهدم أسهل وأسرع من البناء ، والسلام على من اتبع الهدى ، ورجح العقل على الهوى

* * *

﴿ دار العلم والارشاد ﴾

رجوت في النبذة الثانية من رحلتي أن أنشر في الجزء الثالث من المنار نظام مدرسة « دار العلم والارشاد » بناء على الرجاء في الشروع بالعمل في ربيع الأول . وقد حدث بعد أن كتبت ما كتبت ما أيأسني من مساعدة الحكومة بعد وعدها القطعي او كاد . ثم عادت المياه الى مجاريها والمرجو من فضل الله تعالى ان يكون الشروع في شهر ربيع الآخر وقد تمت المقـدمات في ربيع الاول والله الموفق وهو المستعان

﴿ تصحيح ﴾ سقط من (ص ١٤٧ ج ٢ م ١٣) سطر كامل موضعه قبل السطر الاخير ونذكر نصه ليكتب بالقلم وهو :

« اسعد أفندي أمين الفتوى ومصطفى افندي اودوهشلي مستشار المشيخة »

الفصل الثامن عشر (*

(عظم المِنَة باتساع المِنَّة)

كان محمد (صلى الله عليه وسلم) قوي القلب جدا تدل على ذلك سيرته كلها من أولها الى آخرها. ولكن مهما قوي قلب أمام الحوادث المعتاد وقوع أمثالها بين الناس فلا يدل ذلك على انه لاتأخذه روعة أمام صوت غير بشري ، يهيب به الى أمر غير حسي . لذلك لا ينبغي أن نستغرب الروعة التي أخذت لأول وهلة ذلك القلب القوي العظيم فانه دعي من لدن الحق بواسطة الروح الى وظيفة تنوء بحملها المنن ، ويجب بحسب حدودها قلب السنن

إي لعمر الحق لاغرابة في روعة تنقض الظهر ، اذا حدثت لمن نودي هذا النداء بهذا الامر ، وبديهي احتياج هذا المأمور الى شرح الصدر ، والتأييد ورفع القدر ، ولا بدع اذا ضمن له كل تأييد من أراد أن يكون قلبه محلا لتنزلات وحيه الأعلى

نعم ألمت الروعة بقلب صاحب « حراء » لما نزل عليه الروح بما نزل به عليه وقد صرح لخديجة بذلك وقال لها « لقد خشيت على نفسي » ولكن التأييد حافٌ به ، والايناس صافٌ من حوله ، وناهيك أن في منزله

*) تابع لما نشر في (ص ١٥٥ م١٣) من سيرة السيدة خديجة

الذي اليه يثوب، روحا شريفا كأن الله قد أوجده خاصة لتأييده وشرح صدره بادىء بدء هو روح السيدة « خديجة »

لم تكن هذه السيدة أقوى مُنَّةً من بعلها الكريم ولكن هو واجهته روائع الجلال مواجهةً ، فأخذته بين حيرة وشوق وخشية عجز عن القيام بالوظيفة . وأما هي فسمعت بالامر سماعاً ، ووجدت للتفكر فيه مجالاً ، ولإيناس الرفيق مقالا

ولو بُدهت امرأة بما بُدهت به هذه السيدة من هذا النبأ العظيم وكان ينقصها ماحلاّها الله به من الفطنة وبعد الادراك وسلامة الفطرة وما أعطاها من قوة التمييز في وزن الامور ومعرفة مقاييسها لتراخت مفاصلها ووهت قوتها أمام هذا الحادث الغريب .ولكن العناية الازلية التي لها اليد في اظهار هذا المظهر الاعلى قد أتمت العمل من أوله الى آخره ونسقته على أحسن منوال فلا بدع بما نراه في هذه السيدة من الصفات التي تساعد على استقبال أمور عظيمة لانها خلقت لتكون زوجة لذلك الرجل الذي سيأتيه أعظم الامور ويأتي به

تفكرت «خديجة » في هذا الامر وأخذت تسائل نفسها بنفسها وللامل ههنا وجه وللخوف وجه : فالامل يقول لها ان الامين لصادق وان روحه لزكية قوية لاسلطان لروح الشر عليها والروح الذي جاءه انما بلّغه باسم ربه أنه اصطفاه رسولا والله على هذا قدير ، وباختصاص من شاء بما شاء جدير ، وأي شيء يمنع رب العالمين اذا أراد أن يتكرم على هذا البيت بإنزال وحيه فيه فيغدو بعد الآن مشرقا لاتضاهيه المشارق ، يفيض النور على القبائل والشعوب ، انت اللهم على هذا قادر اذا أردت

ولا مانع لما أعطيت ! والوجل يقول لها ماهذه الحال التي أخذت حبيب قلبي فراعته ، اني لأخشى ان يكون أمراً جسمانيا بحتا كما قد يعرض للأفراد ، اني لأخاف أن يصبح هدفا لرمي الاضداد . ولكن سرعان ماغلب الأمل على الوجل ، والمُنَّة على الضعف ، ووشكان ماتبدّت لها وجوه الادلة على أن ما أتى بها الكريم هو بريد خير عظيم ، ومقدمة فلاح عميم ، وكانت أدلتها على ذلك عقلية ونقلية تقدمت العقلية منها على الثانية

الفصل التاسع عشر

(الأدلة العقلية)

لما قال « محمد » (صلى الله عليه وسلم) لخديجة « لقد خشيت على نفسي » قالت له «كلا والله مايخزيك الله أبدا . انك لتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق ، وتصدق الحديث ، وتؤدي الامانة »

ان هذا الكلام الذي صدر منها على الفور هو نتيجة معرفة سابقة ، هو نتيجة تفكر جميل قد أعطى الثمرة سريعا ، هذا الكلام الوجيز يؤلف استدلالا عقليا من أعظم الاستدلالات فانه قد أتى ساذجا نظيفا لاغبار عليه من التكلف ، ولا شيء منه بواقف أمام الذهن ، هو قياس باهر النتيجة ، مطوي بعض الحواشي ، ومن أبدع الاقيسة نظما ، ومن أجملها وقعا ، بيد أن الافهام كدأبها في التفاوت ، وعلى سنتها في التخالف ، لا

يستفني كثير منها عن تشريح هذا القياس لتطلع على قلبه وأعضائه واحدا واحدا . فحينئذ يلوح لها انطواء الافادات الغزيرة ، في هذه الكلمات الوجيزة ، وتعلم من قريب أن الحكمة بيد الله يؤتيها من يشاء

(١)

يخرج من كلام هذه السيدة أن النوع الانساني محل لعظيم تجليات رب الانواع كلها . ولذلك يحب كل ما يؤدي الى تسامي هــذا النوع ويخلق الاسباب لذلك ويأخذ بيدها لتتغلب على ما اظهره بحكمته التي لا نعلمها من أضدادها

(٢)

ويخرج من كلامها ان الله عز وجل مطلع على اعمالنا ومجاز عليها وأنه يحب منا أعمالا ويكره أخرى وأن الذي يحبه منا على حسب تفكرها هو الاستقامة ومساعدة بعضنا لبعض ولا سيما مساعدة الضعفاء

(٣)

ويخرج منه أن من يفعل الخير لا يأتيه الا الخير . والخير الذي نعبر عنه بهذا اللفظ قد جاء في عبارة السيدة بتفصيل اعمال كلها من باب مساعدة الانسان للانسان فهذه المساعدة في نظرها كل خير أو هي كل الخير فهل يكافىء الله فاعل الخير بغير الخير ؟ ان هذا لا يكون على حسب تفكرها

(٤)

ونتيجة قياسها أو أقيستها ان هذه رسالة ربانية فيها الخير لا الضير وأن الله عز وجل سيتفضل بتأييد هذا المأمور في حمل هذه الامانة على ثقلها وصعوبة تأديتها لقوم ينكرونها ولا يعرفونها

الفصل العشرون

(شرح حكة السيدة خديجة)

ان محيط جلال الله الذي ليس له حد لا تبلغ سفن العبارات شيئا من سواحل التعريف به حق التعريف . وانما هي لتستمين النفس على بث حبها له عز وجل وتمجيدها اياه وليزداد شوق النفوس الى الكمال، وتعبدها لذلك الجلال ، لقد عزت صفات واجب الوجود عن أن ترسمها اللغات، كما عزت ذاته عن أن تحدها الجهات، وان حقيقته لهي فوق المجاز والاستعارات

لكن الانسان خلق عظيم الشوق الى تصور ربه ، وغير صبور عن الاشارة الى وصفه ، وليت شعري أنى يبلغ الواصفون صفة من كنهه محتجب في خزائن الغيب الاعظم ؟

لقد نفد صبر الانسان في هذا الامر من قديم الازمان وأقدم على وصف ربه فلم يجد غير الاستعارة حيلة فوصفه بما يتصف به الانسان نفسه ولذلك وقع تناقض كثير في أوصاف الواصفين لأن رب العالمين غير حادث ولا تشبهه الحوادث تعالى عن ذلك علوا كبيرا

ولقد ظهر بين البشر رجال منهم أتتهم الارواح وكلمتهم من عند الله فأيد كلام الله بواسطة الروح مادرج عليه الناس من الاستعارة فأصبح هذا الامر عاما لا فرق بين الناس فيه الا فيما اختلفت فيه عباراتهم .

والافكار المستقلة تؤدي الى قبول هذا الاسلوب أيضا لان التفاهم في هذه الابواب لا يستغنى عنه ولا يمكن الا بالعبارة

• • •

الى الله سبحانه يرجع كل شيء فهو أنشأ الانسان على هذا المثال ، وهو علمه ماقد عرفه الى الآن ،وخلاصة ماعرفناه من ظواهر التكوين أن البارىء المصور عز وجل لما أراد أن يكون هذا الانسان مميزا عليما أظهر الاشياء أمامه مبنية على التضاد ، وجعل تميز الاشياء بأضدادها ، وأودع فيه ضدين جعل عليهما مدار سيرته كلها في حياته هما الاستحسان وضده،وجعل مع الاستحسان الشوق والحب، ومع ضده النفرة والبغض.
واقتضى ناموس التضاد الذي عليه مدار تميز الانسان أن تخالف أفراد هذا النوع في الاستحسان وضده فكثرت أسباب تخالفهم فنشأ بينهم الضدان المسمى أحدهما خيرا والآخر شرا . واحتاجوا الى جواذب تجذب الخير ودوافع تدفع الشر فرجعت كل معارفهم الى معرفة هذه الجواذب والدوافع .ومن نمى منهم علمه بها وساء عمله على موجب هذا العلم سموه حكيما
وهل جائز أن يكون بعض افراد الانسان حكيما والبارىء غير حكيم ؟ كلا، ثم كلا. بل ليست حكمة الانسان الا من الله ،والله هو العليم الحكيم.
نعم بيد أننا نفقه معنى حكمة الانسان لاننا نميزها بضدها وليس لعلم الله وعمله وارادته جل جلاله من ضد
انظر تجدنا نعرف الاسرار في كل دقيقة من الدقائق التي يؤلف الانسان منها شكلا من الاشكال لان الانسان انما يصنع مايصنع للاحتياج والاستفادة وأما الذي اراد ظهور الاشياء بهذا التنوع فلم يرد هذا لحاجة اوجدوى تعود عليه . ثم انظر تجد أننا نسمي ما يصنعه الانسان لا لفائدة عبثا ولا نسمي عمل المستغني عن الفائدة عبثا مع اننا لانرى فائدة في عمله لاله لاستغنائه وتقدسه ، ولا للمصنوع من معدن ونبات وحيوان وغيرها

فاذا أمعنت النظر يظهر لك أننا لا نستطيع أن نعلم ماهي حكمة الله في ظهور الاشياء على ماهي عليه ولكن نقص هذا العلم لم يمنعنا عن القول بأن له حكمة في كل شيء وتعلم من هذا وضوح عجز العبارة في كشف خدور هذه الحقائق مع عدم الاستغناء عنها

ثم اذا رجعنا النظر الى علاقة هذه الظاهرات بالانسان يبدو لنا أمر يحمل على مزيد التفكر والتذكر ذلك أن كل شيء منها يفيد الانسان حكمة اذا تصدى لقراءته على صفحات الاعتبار ، ان الانسان ليرى اذا تأمل نظاماً بديعا في هذه الظاهرات ويرى له نصيبا في كل شيء منها

فمن هذا الوجه قد يصح لنا القول بأن من جملة حكم الله تعالى في هذه الظاهرات تجلي آلائه وكرمه بجعل علاقة النفع والانتفاع بين هذه الانواع والصنوف التي لا تحصى وبين هذا الكائن الصغير الجرم

هذه العلاقة ظاهرة يكاد يراها كل من تأمل في استفادتنا معشر البشر من كل هذه الظاهرات . أما محبو الحكمة فيمعنون نظرهم ويتلمسون الاسرار في تشكلاتها وتألفاتها على هذه الوجوه والاوضاع . ولو فرضنا أنها جاءت على غير هذه الوجوه لتوجهت انظارهم الى استجلاء فوائدها ثمة أيضا لأنها كلها من الله ، وما من الله لا يكون عبثا بل يستفيد منه الانسان حكمة أو شيئا آخر فكأن الانسان أكرم من كل هذه الظاهرات وكأنه هو المقصود بأن تنكشف له الحكم والاسرار الربانية

هذا هو الاساس الذي أقيمت عليه قواعد حكمة الانسان وهو مبدأ سيره لمعرفة حكمة الله الحكيم الاعلى جل وتقدست اسماؤه

***

حكمة الانسان في الحقيقة هـدية ربانية يختص بها مرجع الاشياء من أراد اظهاره سليم الفطرة ، حاد الفكرة ، فهو يكون كثير الذكر ، قليل النسيان ، والكائنات كلها عبر ، وتعليم لمن تذكر . وليست حكمة الانسان تلقينا يقدم له كل مرء ، ويؤتاه كل احد في كتاب يكتب ، او خطاب يخطب ، لكن مع أنه لم يكن أحد مستعداً أن ينال الحكمة نجد الحكمة ذات بركة شاملة تزور بيوت غير الحكماء ايضا فتملأها فوائد كثيرة من غير أن يشعر أربابها بحركتها وحركة حاملي لوائها

* * *

كانت السيدة « خديجة » ذات نصيب من هذه المدية العليا الربانية هدية الحكمة ، وقد رأى القارىء آنفا شيئا من حكمتها وجميل تفكرها وتذكرها ونحن في هذا نشرح ذلك الاجمال، ونزيد المقام حظا من ذلك الجمال:

(١) فهي رأت أن النوع الانساني محل لعظيم تجليات رب الانواع وأنه سبحانه يحب كل ما يؤدي الى تسامي هذا النوع . وحق ما رأت فان اظهار هذا النوع على هذا المثال هو أوضح ضياء يرى به المدلج أن الله سبحانه أحب أن يُعرف فاقتضت ارادته ظهور هذا النوع مستعدا للمعرفة وعظيم الشوق اليها . والانسان في ظهوره جسما وروحا وتفاوت أفراده بالارواح تفاوتا عظيما قد أصبح دون ريب من أ كبر الآيات في هذا الباب على ذلك الشأن العظيم من المراد الالهي ، وأضحى مجمع أسرار وكنز حقائق لايماري فيها الا من جعل النسيان بينهم وبين الملكوت الاعظم حجبا

ومن المشاهد أن البارىء عز وجل يخلق الاسباب المساعدة على ترقي هذا النوع ويأخذ بيدها لتتغلب على ما أظهره بحكمته التي لا نعلمها

من أضدادها . اننا قد شاهدنا ماجرى ويجري من الدفاع والجدال بين جواذب الانسان الى حنادس الجهل ، وجواذبه الى مشارق العلم، فوجدنا الغلبة للثانية على الاولى، وحسبك ان الانسان بعد ان كان كسائر الحيوان لا يفقه غير حاجته الى عشب يصد به ألم جوعته، وماء يرد به ألم عطشته ، أصبح يعرف الغوامض من أمور الكواكب ، ويحسب من حركاتها ما هو أقل من لمح البصر حتى تسنى له بذلك ان يعرف متى يكون الخسوف والكسوف ، دع عنك معرفته بما فوق الثرى وما تحته، ودع عنك توصله الى استخدام الروح الساري في هذه الظاهرات الدنيا نعني به الكهرباء ودع عنك استفادته من الارواح العليا . واتيانه بواسطتها بالانباء البعيدة والمحجوبة

(٢) ورأت السيدة «خديجة» أن الباري عز وجل مطلع على أعمالنا ومجازٍ عليها وأنه يحب منا أعمالا ويكره أخرى . . . ومن تذكر ماحررناه في مقدمة هذا الفصل يعرف أن مثل هذا التعبير يقصد به تصوير معانٍ من كمال الله تعالى فهو سبحانه محيط بالوجودات كلها وقد جعل لها سننا من جلتها أن جعل أفراد النوع الانساني محتاجين الى ارشاد بعضهم لبعض ومعاونة بعضهم لبعض ولا تنس أن الله سبحانه قضى بالتضاد ليميز به الانسان فما قرب من سننه محبوب عنده، وما بعد عنها مكروه لديه . هيهات ! هيهات أن نعرف ما معنى محبته سبحانه وكراهيته لانه سبحانه لاضد له ، ولكن هذا العجز لا يثنينا عن الاعتقاد بأنه يحب ماينفعنا ويكره ما يضرنا كما هو مقتضى حكمته ورحمته بحسب ايماننا وانما خلق الضارّ والمكروه مع النافع والمحبوب ليتم ناموس التضاد الذي قضت به حكمته

ومن أمعن النظر بكل ماسلف هنا يتبين له أن في مقدمة المحبوب لديه مساعدة بعضنا لبعض ولا سيما مساعدة القوي للضعيف. ومن يرزق هذا الروح لا يكون الا سليم الفطرة ، طيب القلب ، غير متهيج لنقص حظ ، ولا متعال بزياده نصيب ،فلا يكون الا محبوبا تأتيه المساعدة من قبل عالم الغيب وعالم الحس والشهادة

(٣) على هذا ترى هذه السيدة أن الله سبحانه لا يكافىء فاعل الخير بغير الخير في هذه الحياة ، وأهل الملل يقولون هذا القول باعتبار مايلقى المرء في الحياة الثانية التي انما تكون لنيل الجزاء، وأما في هذه الحياة فمنهم من يذهب هذا المذهب الذي ذكرناه ومنهم من يقول ان فاعل الخير يبتلى في هذه الحياة بالشرور

ونحن لا ينبغي ان ننسى أن مذهب هذه السيدة مشوق لفعل الخير لان المجازاة عليه في هذه الحياة والحياة الاخرى مما يزيد محبيه حبا فيه. واليه أذهب ، وبه أثق ، ولا عبرة بمن يشذ عن قاعدة هذا المذهب ممن ظاهرهم الخير والله أعلم بسرائرهم

هذا بعض تفصيل لما جاء مجملا في حكمة السيدة «خديجة» ولم نسوغ الزيادة على هذا المقدار خشية تعب الرفيق القارىء ومنه يعلم رفيقنا أن هذه الاستدلالات العقلية كافية لمن كان له قلب سليم كقلب سيدتنا أن يعرف معرفة تدفع الريب أن الروح الذي وافى معدن الخير محمداً (صلى الله عليه وسلم) إن هو الا روح خير وسلام ، وفلاح ونعمة واكرام ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم
